15 em Année No. 740

Lundi — 8 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٤٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦٦ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القـــــوة هي الحق !

القوة هي الحق وما سواها باطل . فإذا رابك هـذا القول فعارضته بآية من القرآن في الرحمة ، أو بحديث من السنة في العفة ، أو بمأثور من الحكمة في البر ، أو ببيت من الشعر في العدل ، قلت لك ويداي مشبوكتان على صدري : صدق الله العظيم، أو برَّ النبي الكريم ، أو أحسن الواعظ الحكيم ، أو أجاد الشاعر النابغ ؛ ولكن للطبيعة طغياناً تكسر الأديان من غُلوائه ولا تمحوه ، وللحياة سلطاناً تكف الآداب مُن عاديته ولا تزيله . وما دام الغربيون يحنون إلى حياة الغاب ، ولا يعترفون إلا بالظفر والناب ، فإن كلمتي الحق والعدل تظلان مرادفتين لكلمتي الضعف والعجز ، يجار بهما المظلوم ويتصامّ عنهما الظالم !

على أن العـدل والبر والإحسان وأخواتها من مهجورات الفضائل ، إنما يُفهم التعامل بها بين الفرد والفرد ، أو بين الأسرة والأسرة ، لأن الأمر بينهما يقوم أكثره على عواطف الصداقة أو القرابة ، فمظهره الإيثار والتسامح والتعاون . أما التعامل بها بين الشعب والشعب ، أو بين الدولة والدولة، فإنما يقوم على جلب المنفعة أو دفع المضرة ، فمظهره التفارس بالغيلة والحيلة الماثلتين في بأس الجيوش ومكر الساسة !

ماذا بيننا وبين انكلترا أو فرنسا أو أمريكا من أسباب المودة ؟ هل بيننا وبينها إلا ما يكون بين حيوان جائع تحت كفيه حمَل ، وأسد مسعور بين فكيه ناب ؟ كيف ننشد الحق والعدل في دول الغرب وكل واحدة منها قد جعلت قصدها وكدها أن تنفرد بخيرنا أو تشارك فيه ؟ إنها عصبة من دول الشيطان تعاونت على الإثم والعدوان وتحالفت على العرب والإسلام والشرق !! جرّبوا آثار القوة فيهم فلم تفدهم التجربة ، وأصابهم الطغيان النازى في أنفسهم وأموالهم فلم تعظهم الإصابة ، ووقفوا أمام جبار المحور ضعافاً ضارعين ست سنين طوالا ثقالا يطلبون من الله أن يسعفهم بالحق ، ومن القانون أن يؤيدهم بالعدل ، ومن العالم أن يرفدهم بالإحسان ، حتى إذا رأوا القدرَ القاهر يسلب القوة العارمة ، ويعطل الآلة الحاطمة ، استطالوا على الله ، واستهانوا بالقانون ، واستكبروا على الناس ، وقال كل منهم : أنا اليوم وريث هتلر وخليفته ! هاهم أولاء ، لا تزال وجوههم محمرة من لطمات هتلر، وأشلاؤهم مبعثرة بقذائف هتلر، وبلادهم مخربة من قنابل هتلر ، وتراهم مع ذلك يجلسون فيما سموه مجلس الأمن جلسة النخّاسين في سوق الرقيق، يساومون في حريات الأمم، ويزايدون في حقوق الشعوب ، وحجتهم المالية أن بلادهم تزخر بالحديد والنار ، ونفوسهم تجيش بالطمع والاستعمار !

القوة هي الحق وما سواها باطل . فمن عاش في البرّية حمَلا أكلته الذئاب ، ومن سار في القافلة أعزل سلبته اللصوص

احمد حسن الزيات

اتقوا غضبة الشعب!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أجلت قضية مصر والسودان فى مجلس الأمن إلى يوم الثلاثاء التاسع من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، بعد أن تمتعت بريطانيا بالخذلان الذى كان مثله أبعد شىء عن بالها منذ عشر سنوات وحسب . فقد تعودت بريطانيا أن تأمر أو تدسّ فيطاع أمرها أو دسُّها ، وتخرج ظافرة من كل معركة تدور بينها وبين أمة من الأمم التى ابتليت بشرها الذى لم تنطفىء له جمرة منذ نجمت قرون هذه الدولة فى تاريخ العالم الحديث . ونحن نسأل الله أن يتمّ الخيبة على هذه الدولة الطاغية بانهيار نظامها الاقتصادى ، ليخلص العالم من الأخطبوط الفاجر الذى ضمّ فى أحشائه وبين جوارحه دولا برمّتها من الهند إلى العراق إلى مصر والسودان إلى جنوب أفريقية — إلى عالم كان يتمدّحُ شعراؤها بأن الشمس لا تغيب عن ملكه ، وأنها هى التى حملت أمانة الجنس الأبيض و (عبء الرجل الأبيض) فى تحضير الأجناس الملونة ، أى استعبادها وظلمها ، وإغراء فرنسا وبلجيكا وهولندة وسواها من أقزام الدول باستعباد جزء من هذه الشعوب ، تسومها الخسف بكل نذالة تدخل فى طوق هذه الأمم .

إن مجلس الأمن هو اليوم بين اثنتين : إما أن يُشهد العالم كله على أنه أقيم على حق ، وأنه حافظٌ وازعٌ ينهى الطغاة عن الإيغال فى طغيانهم ، وإما أن يشهد العالم كله على أنه سوق حديثة للرقيق والنخاسة أقيمت لتتاجر بعباد الله بلا حياء ولا ورع . فكان تأجيل قضية مصر فى هذه المرة ، بعد المناقشات التى دارت فيه دليلا على أن مصر والسودان قد استطاعت شيئاً ما أن توقظ طرفاً من ضمير هذا المجلس ، ومن ضمير الأمم التى اشتركت فيه ، واستطاعت أيضا أن تجعل بريطانيا مغمورة فى ركام الفضائح والفظائع التى ارتكبتها فى مصر والسودان ، والتى تصر على المضى فى ارتكابها بكل جرأة لا تستحى .

ونحن نحب أن نثنى ثناء خالصاً من قلوبنا على الرجل المصرى السودانى ، الذى لم يزعزعه تهديد بريطانيا وترويعها ، ولم ينل من قلبه الخوف ، ولم تثنه عن الهدف الأعظم حِيَل ولا أشراك ولا جدال ولا تغرير ، فانطلق يبين عن أهداف مصر والسودان وعن حقوقها وعن البلاء الذى نزل بها بياناً شفى صدور المصريين والسودانيين جميعاً . إننى لم أعجب بهذا الرجل لأنه سياسى بارع ، ولا لأنه قانونى ضليع ، ولا لأنه خطيب مفوّه ، ولا لأنه رئيس حكومة — كلا بل لأنه أول رجل بعد أن ذهب مصطفى كامل — وقف وحده فى عرين الأسد البريطانى ليسمع الدنيا كلها أن هذا الأسد البريطانى قد اعتدى عليه وبغى وطغى وظلم وتجبر ، وفعل الأفاعيل الخسيسة التى أراد بها استعباد مصر والسودان . إنه الرجل المسئول الوحيد الذى قام فى مجلس دولى يطعن بريطانيا العظمى ! طعنا متداركا غير راحم ولا مشفق ولا هياب ، وهو يعلم أنه يطعن بهذا الطعن دولا كثيرة من أعضاء هذا المجلس . لقد كان محمود فهمى النقراشى رجل مصر ، لأنه كان وطنياً يتكلم بلسان الجروح التى مزقت جسد أمته ، لا بلسان السياسى المحتال الذى يريد أن يرضى هذا ويتجنب غضب ذاك . وهذا وحده هو السر الأعظم الذى جعل قضية مصر والسودان أعظم قضية عرضت على مجلس الأمن وأخطرها ، وهذا وحده هو الذى أوقع التخاذل فى الصفوف التى جمعتها بريطانيا ، وظنت أنها سوف تنصرها فى باطلها نصراً مبيناً ترجع بعده مصر والسودان خاشعة خاضعة تحت ظلال الخذلان الذى أمّلت بريطانيا أننا سوف نمنى به .

لقد ضرب النقراشى مثلا خالداً فى تاريخ مصر الحديث ، فدل بذلك على أنه رجل يركن إليه فى ملمّات الأحداث . فقد مرت على مصر والسودان حقبة كان الذى يقول فيها بمثل الذى قاله النقراشى فى مجلس الأمن يعد رجلا مخبولا خيالياً تسخر منه الصحف والمجلات ، وتزدريه جماهير من المخدوعين ، ويتخذ هدفاً لكل دعابة تجرى بها ألسنة الهازلين من أحلاس النوادى والقهوات . إن هذا الرجل جدير بأن يرفع اسمه منذ اليوم إلى حيث لا تنال مكانه أسماء الدجالين والمخادعين والمنافقين الذين ظهروا فى تاريخ السياسة المصرية منذ سنة ١٩١٩ إلى يوم الناس هذا . فحسبه فخراً ومكانة أن يكون هو الذى استطاع أن يجمع إرادته وعزمه وحزمه ، فلم يصرفه خوف أو إغراء عن تحقيق كلمة

مطبعة الرسالة

مصر والسودان الخالدة ، وعن إعلان هذه الكلمة فى أرجاء الدنيا ، وهى : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » .

***

ويقابل هذا الرجل الصادق رجال آخرون من صنائع بريطانيا — كانوا من صنائعها القدماء منذ تحركت مصر والسودان فى سنة ١٩١٩ تطالب الدولة الباغية باستقلالها ، وتريق دماءها وتبذل مهجها ، ويأبى أحدهم فيكون سيفاً مسلولا على أعناق إخوانه المصريين يتعسف بهم عسف الجبار المارد ، وإن كان هو فى نفسه ليس بجبار ولا مارد إلا كما كان أبو حية يسمى قضيب الخشب الذى يحمله سيفاً هندوانياً — وإنما كان جبروته وتمرده يومئذ من جبروت بريطانيا وتمردها — فهو دمية تلعب بها لا أكثر ولا أقل .

لقد قام النقراشى يعلن ملأ الأمم فى نواحى الأرض ، أن هذه ساعة فاصلة فى تاريخ مصر والسودان ، وأنه قد عزم على طرد الانجليز من بلاده ، وأنه لن يقبل مهادنة ، ولا مفاوضة ولا مراوغة بعد اليوم ، وأن بلاده توشك أن تنفجر ، وأن البلاء على الأبواب لن يمنعه ضغط الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، وأن مصر والسودان قد أبت إلا طرد بريطانيا من بلادها كلها بلا مهلة ولا تريث ولا مواعيد . ووقف مندوب بريطانيا يصر إصرار البغاة الطغاة على أن المعاهدة تخول له احتلال أرضنا ، ويستدل مرة بعد أخرى بالذى كان فى مفاوضات صدقى — بيفن وكأنه يريد أن يقول إن صدقى قد قبل ما يأبى هذا الرجل — يعنى النقراشى — فينكره ويرفضه ، ويكذب على مصر والسودان فيدعى أنها تريد طرد بريطانيا وجلاءها جلاء تاماً ناجزاً عن أرض وادى النيل كله ، على غير ما تدل عليه مفاوضات صدقى — بيفن .

وفى خلال ذلك يقف صدقى باشا الذى اتخذته اليوم بريطانيا حجة على مصر ، ليقول إن خير الوسائل لنيل حقوق مصر والسودان من بريطانيا هى المفاوضة ، كأن هذا الرجل لم يعلم بعد أنه ظل يروح ويغدو ويتلاعب هو وتتلاعب بريطانيا، وكانت العاقبة أن أفضى الأمر به إلى الاستقالة ، بعد التكذيب الخبيث الذى كذبت به بريطانيا كل شىء قاله فى تفسير بروتوكول السودان . لقد كان العذر متسعاً لامرئ سواه إن قال بمثل الذى يقول به . ومتى يقول هذا الرجل هذا الكلام ؟ يقوله فى ساعة الحرب التى شنتها مصر والسودان على بريطانيا !

إننا لا نبالى كثيراً ولا قليلا بما يقوله هذا الرجل وأمثاله ، وليس من همنا أن نقف عنده لنفنده ، بل همنا أن نبين أن وراء كلامه معنى آخر ، هو أن بريطانيا لما أحست بتباشير الخذلان الذى سوف تناله فى مجلس الأمن ، وعرفت أنها لن تستطيع أن تواجه العالم بالأباطيل التى كانت تواجه بها المفاوضين فيرهبونها ويخشون بأسها ، فلجأت عندئذ إلى قدماء صنائعها فى وادى النيل ليخذلوا قلوب الناس ويخوفوهم ويوقعوا بينهم يبثوا بينهم الفتنة ، ويكون ذلك فتاً فى عضد النقراشى ، وتمهيداً لانقلاب يحدثونه مرة أخرى بالقهر والتهديد ، وبخيانة من يستحلى موارد الخيانة لبلاده — لمال يناله ، أو جاه يحرزه ، أو أبهة يختال فيها ، أو أمل يمنى بإدراكه على يد بريطانيا صاحبة النعم الجزيلة والآلاء التى لا تنفد !

إن بريطانيا تبذل الآن كل جهدها فى رد مصر والسودان عن الطريق الذى لا طريق غيره لمن أراد أن ينال حقه ، وأن يحمل هذا الحق ذكراً مذكوراً فى قلوب الأبناء والأحفاد حتى لا تنطمس معالمه ، وحتى لا ينخدع الناس عنه بتقليل مدلس عليهم كما حدث فى تاريخ مصر والسودان منذ سنة ١٩٢٤ إلى هذا اليوم ، حتى بلغ البلاء أن صار الناشئة يقولون : « مصر والسودان دولة مستقلة » ، وكلهم يعلم ويرى ويشهد بعينيه الغزاة فى ثيابهم يروحون ويغدون فى الشوارع والطرقات ، ويغشون دور الملاهى ويقيمون المدارس المادية لروح مصر والسودان فى قلب بلادنا ، ويحمون لصوص الأجانب ، وينصرونهم على أبناء البلاد بكل ما استطاعوا .

ومصر والسودان لن ترتد مرة أخرى إلى طريق « المفاوضة بين مصر وبريطانيا» ولن ترتد إلى تعليق مسألة السودان وجعلها مسألة قائمة على حيالها ، ولن ترتد إلى الاعتراف بالورقة الباطلة التى كتبت فى سنة ١٨٩٩ لتشرك بريطانيا مصر فى حكم السودان . فإذا كان صدقى باشا قد علم من الثقة الذى أوعز إليه أن هذه الخطة هى الباقية ، وأنها هى التى سنصير إليها بعد

انهزامنا فى مجلس الأمن ، وأنه لا محيص لمصر والسودان من المفاوضة قبل الجلاء عن وادى النيل كله — فقد كذب الذى أوعز إليـه بذلك . وليعلم صدقى باشا أن الرائد لا يكذب أهله ، وأننا نحن أصدق حديثاً من الذين يعتمد هو على حديثهم ، فمصر والسودان قد علمت اليوم علماً ليس بالظن أن مفاوضات صدقى — بيفن ، كانت زلة وقى الله شرها ، وأن الله سخر النقراشى ليقيل مصر والسودان من تلك العثرة المردية ، وأن مصر والسودان قد عزمت أمرها على أن لا تضع يدها فى يد بريطانيا ما دام لها على أرض وادى النيل ظل تستظل به أفاعيها ، وثعالبها ، ووحوشها — وصنائعها أيضاً .

وخير لصدقى باشا ومن كان على شاكلته أن يعلم أشياء كثيرة ، فلا يغرر بنفسه فى مهالك بريطانيا التى تطأ بأقدامها كل من يخدمها إذا رأت فى ذلك خيراً ينفعها . خير له أن يعلم أن الزمن الذى كان هو فيه أحد أبطال السياسة ، قد انقلب كله وذهب وعـفى عليه الذى عفى على مآرب كثيرة . وخير له أن يعلم أن الجيل الذى يعيش فى هـذه الأيام غير الجيل الذى كان يرهب سوط الجلاد ويخاف وسْمَ السياط على أبدانه ، وخير له أن يعلم أن العلْمَ القليل الذى كان يناله الرجل فيتبجح به ويخيل إليه أنه صار عقلا وحده ، قد حل محله عقل كثير لا قبل لأحد بدفعه بعد اليوم . وخير له أن يعلم أن الذرة التى تتوهج اليوم بالإخلاص لمصر والسودان ، خير من كل الدُرّ القديم الذى زيفته بريطانيا وملأت قلبه نعمة وجاهاً وسلطاناً ، وخير له أن يعلم أن دَمَ أى صعلوك مصرى سودانى مخلص لبلاده ، قد صار أكرم على مصر والسودان من دماء السادة الذين سادوا بالخيانة والنفاق والخداع . وخير له أن يعلم فى أول ذلك كله وآخره أن احتقار مصر والسودان ، وازدراء هذا الشعب النبيل ووصمه بأنه لم يبلغ بعد المرتبة التى تخوله أن يتبوأ مكانه فى العزة والكرامة — لن ينفع بعد اليوم صاحبه والمتحدّث به ، والعامل على تثبيته فى أذهان من يحدثهم . وخير له أن يعلم أنه لا يزيد على أن يكون فرداً من أفراد هذا الشعب لا أكثر .

ليس من همّى مرة أخرى أن أتناول قول صـدقى بالنقد أو التفنيد ، ولـكن كل همى أن أدلّ ناساً من خلق الله الذى نبتت لحومهم ، وجرت دماؤهم ، وامتلأت بيوتهم خيراً من ماء النيل الذى يجمع مصر والسودان ، على أن شعب مصر والسودان قد حزم أمره على أن يستأصل شأفة الماضى كله ويقطع دابر المنافقين المختالين بغير سلطان أتاهم ، وأنه قد أجمع عزمه على أن يحطم سلاسل الاستعباد كلها ، وأنه لن يقف دون غايته لرهبة أو رغبة ، وأنه عرف أن الساسـة قد خدعوه زمناً طويلا ، فأيما سياسى من القدماء ، ممن كان من صنائع بريطانيا أو من المخدوعين بشرف بريطانيا ، تسول له شياطين نفسـه بعد اليوم أن يظن أنه أهدى من النقراشى وأعظم وأقدر ، وأنه بالغ مالم يبلغه النقراشى بالمفاوضة والمساومة على حقوق مصر والسودان فمصيره أن ينال من بأس هذه الأمة الناهضة المتدفقـة العارمة شراً كثيراً كان أحوط له أن يلوذ منه بملاذ كريم ، هو أن يستظل بظل الأمة التى ولدته وأنشأته وكرمته بالانتساب إليها فإذا أبى أحدهم إلا أن يطلب لنفسه مجداً بدعوة بلاده إلى المفاوضة أو خيانة بلاده بقبول عون بريطانيا له حتى يبلغ الوزارة كما بلغها بعضهم من قبل على أسنة الحراب البريطانية ، فإنه سيعلم يومئذ أن الشعب المصرى السودانى أشد منه ومن بريطانيا بأساً وقوة ومصابرة على الجلاد ، وسيعلم أنه قد قدر فخاب فامتحن امتحاناً شديداً كانت له عنه مندوحة .

أيها الساسة القدماء ! احذروا غضبة الشعب ، فلكل شعب غضبة كالنار المشعلة تأكل الأخضر واليابس ، وهـذا أوان غضبة مصر والسودان بعد أن يبس الثرى بيننا وبين بريطانيا ...

محمود محمد شاكر

٦ - رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

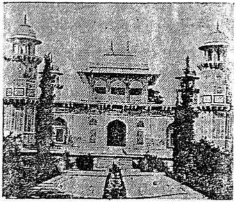
- ١ -

أعود إلى الحديث عن مدينة دهلى ، بعد أن ذكرت طرفاً من أخبار المؤتمر الآسيوى . دخلت دهلى وملء نفسى ما قرأت وسمعت من تاريخها وأحداثها وآثارها . ولم يسعف الزمان ولا الحال بإطالة المقام فيها والتردد فى نواحيها ، واستقصاء مشاهدها وآثارها . وإنما كانت جولات سريعة فى أرجائها . ووقفات قصيرة على بعض مشاهدها .

مدينة دهلى اليوم قسمان : دهلى الجديدة التى خططها الإنكليز على نظام حديث ، وجعلوا فيها دوراً للحكومة ومساكن لكبار الموظفين وهى مدينة واسعة الشوارع والحدائق تحيط بكل دار فيها حديقة كبيرة ، ودورها فى الأكثر ذات طبقة واحدة ، وفيها من الأبنية الفخمة الرائعة دار الحكومة ودار النيابة . ومسكن نائب الملك هناك وما يتصل به من أعظم الأبنية وأوسعها وأجلها ظاهراً وباطناً ...

وأما دهلى القديمة فهى على خط ٧٧° من الطول الشرقى و٢٨° من العرض الشمالى فهى تقارب عرض القاهرة ولكنها أشد منها حراً . وقد لقينا من حرها فى شهرى مارس وأبريل أشد مما نجد فى القاهرة فى الصيف المعتاد .

وتقع دهلى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من إقليم البنجاب على الضفة اليمنى لنهر جمنة . وكانت ألحقت بهذا الإقليم سنة ١٨٥٨ م . وهى اليوم فى ولاية منفصلة . ومن العجيب أن هذا الفصل بين دهلى والبنجاب يخرجها من دولة باكستان ، وهى المدينة التى بقيت زهاء ثمانية قرون حاضرة دول إسلامية ، وفيها من الآثار الإسلامية ما يصلها بتاريخ الإسلام دهوراً . وكثير من المدن التى تحفظ الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ليست داخلة فى الباكستان مثل أجرا ولكهنو وأحمد آباد وعليكره .



صورة مسجد الجمعة فى دهلى

ودهلى ذات تجارة واسعة ، وهى ملتقى طرق حديدية كثيرة وقد اتخذ الإنكليز من دهلى الجديدة وهى متصلة بالقديمة عاصمة للهند فى هذا القرن وكانت العاصمة كلكتا . ولكن دهلى ليست كبرى مدن الهند ؛ أكبر منها كلكتا وهى كبرى المدن الهندية ثم بمباى ولاهور .

- ٢ -

والبقعة التى تشمل دهلى الحاضرة وما حولها قامت فيها مدن عدة باسم دهلى فحول دهلى الحديثة أطلال ست مدائن سميت بهذا الاسم ، تنتشر فى خمسة وأربعين ميلا مربعاً .

وتاريخ المدينة الحاضرة يبدأ من القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أسسها الملك الكبير المعمّر الذى ترك فى الهند آثاراً لا تضارعها آثار فى الهند ولا غيرها ، شاهجهان ابن جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر . خامس الملوك العظام من هذه الأسرة العجيبة التى نشأت ستة ملوك كبار على نسق واحد سيطروا على الهند مائتى سنة وأورثوا أعقابهم دولة بقيت مائة وخمسين سنة أخرى .

بنى شاهجهان المدينة الحاضرة وسماها شاهجهان آباد وكان طولها على ضفة النهر ميلين ونصف .

ولا تزال قطع من أسوارها قائمة يجتاز السائر فى المدينة أبواباً فيها منها باب أجمير فى الجدار الغربى من السور وباب كشمير فى الجدار الشمالى وقد اجتزت هذا الباب كثيراً بين الفندق الذى نزلت به فى دهلى القديمة ومكان المؤتمر فى دهلى الجديدة ، ورى خارج هذا الباب تمثال لأحد قواد الإنجليز ومدافع قديمة هى من بقايا الحروب التى شهدها هذا السور وآخرها ثورة سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) .

— ٣ —

وأعظم ما يرى السائر فى الجادة الكبيرة التى تخترق المدينة فى جانبها الغربى من الشمال إلى الجنوب بناءان عظيمان رائعان : المسجد الكبير الذى يسمى مسجد الجمعة (جمعة مسجد) والقلعة الحمراء (لال قلعة) منظران يفصلهما الطريق فيحتار الطرف بينهما ، القلعة ذات الأسوار العالية والأبراج العظيمة والهندسة المحكمة الجميلة ، والجامع الكبير الرائع ذو القباب الثلاث البيضاء، والمنارتين . وكلا البناءين الخالدين مبنى بالحجر الورد وهو يغلب فى أبنية السلاطين التيموريين وبجلب من أجرا . وهما نضيران لم تغيّر منهما الأحداث ، ولم تنل منهما الغير ثبات الحق على كر العصور ، والمجد المؤثل على مرّ الدهور .

دخلت الجامع مغرب يوم الخميس ٢٦ ربيع الثانى (١٩ آذار) يوم بلغت دهلى . صحبنا إليه الصديق القديم السيد محمد الفاروقى فأدينا به صلاة المغرب ، ثم صلينا الجمعة التالية .

وهذا الجامع بناه شاهجهان بين سنتى ١٠٥٨ ، ١٠٦٠ هـ بعد أن بنى القلعة بسنتين وهو على ربوة تزيده جلالا ورفعة . له بابان كبيران أحدهما يقابل القبلة والثانى إلى يسار الداخل من الباب الأول . والمسجد كله شكل مستطيل طوله نحو ثمانين متراً وهو يزيد على عرضه قليلا . وصحنه فسيح جداً مستطيل فيه ثلاثة صفوف من عمد الرخام الأبيض وجدرانه مغشاة بالرخام كذلك وله محاريب أوسطها أكبرها . ومنبره درَج من الرخام قليلة . وكذلك المنابر التى رأيتها فى أجرا ولاهور ليس لها ما يعهد فى البلاد العربية والتركية من الضخامة والارتفاع والحواجز على جانبى الدرج . والنقش والحلَى .

وأما جمال النقش ، والانسجام بين الرخام الأبيض والأسود فى أرضه ، والحجر الأحمر والرمر الأبيض فى الجدران فلا أطيل الحديث فى تفصيله .

ويصعد إلى المسجد عند بابيه الكبيرين بدرج هائل لم أر نظيرها فى الطول . فهو يعجبه مدرّجاً عظيما يتسع لآلاف الناس .

وإجمال الكلام أن هذا المسجد من أكبر مساجد المسلمين وأجلّها وأجملها ، وكان شاهجهان يؤدّى الصلاة فى مسجد فى القلعة ويخرج أحياناً ماشياً للصلاة فى هذا المسجد الكبير ولاسيما صلاة الجمعة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ما أعرفه عن فارس الخورى

للأستــاذ على الطنطاوى

أقيمت فى ردهة المجمع العلمى العربى فى دمشق ، من نحو عشرين سنة ، حفلة لتكريم حافظ ابراهيم حضرتها أنا وأخى سعيد الأفغانى ، وكنا يومئذ فى مطلع الشباب ، نقصد هذه الحفلات لننتقد الخطباء ، ونبتغى لهم المعايب ، فمن لم نعب فكرته عبنا أسلوبه ، ومن لم ننتقص إنشاءه انتقصنا إلقاءه ، وخطب كثيرون فى الحفلة ، وقال فيها حافظ بيتيه المعروفين :

شكرت جميل صنعكم بدمعى ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفنى على ما ذاقه طعم السرور

ولم يسلم من ألسنتنا ... وكان فيمن خطب رجل قصير القامة ، عظيم الهامة (جداً) ... أبيض الشعر ، ألقى قصيدة لا أزال أذكر أن مطلعها ، كان :

ليالى التصابى قد جفانى حبورها ولمتى السوداء أسفر نورها
ومن لى بإنكار الحقيقة بعد ما تجلى على وجهى وفودى نذيرها
تذكرت أيام السرور التى مضت فياليت شعرى هل يعود سرورها
لدن لى مع الأصحاب سهم مسدد وحظى من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد تثير فؤادى مقلة وفتورها
وأدنتنى الأيام من هوة الونى فأصبح منى قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوى صحائفى وهل بعد هذا الطى يرجى نشورها

إلى أن ...

وتخلص إلى لقاء حافظ ، وقال إنه جدد له عهد الشباب ... وهى قصيدة طويلة لا أرويها[1] ، وكان صوته قوياً على انخفاض مدوياً على وضوح ، كأن له عشرة أصداء تتكرر معه ، فتحس به يأخذك من أطرافك ، ويأتى عليك من الأقطار الأربعة ، فتسمعه بأذنيك وقلبك وجوارحك ، بل تكاد يدك تلمس فيه (شيئاً) ضخماً ... على صحة فى المخارج ، وضبط فى الأداء ، وقوة فى النبرات ، وثبات فى المحطات ، واعتداد بالنفس عجيب ، تشعر به فى هذا الصوت الذى يكون له هذا الدوى كله ، وهو يخرج من فم صاحبه باسترسال واسترخاء ، لا يفتح له شدقه ولا يحرك لسانه ، ولا يمد نفسه ولا يجهد نفسه ، وأنسانا بهذا الصوت وهذا الإلقاء ، أن ننقد القصيدة ، أو نجد لها العيوب ، وملك به قلوبنا وقلوب الحاضرين ، فصفقنا له حتى احمرت منا الأكف .

وقلت لسعيد : من هذا ؟

قال : هذا فارس الخورى .

وكنت قد سمعت باسم (فارس الخورى) قبل ذلك بزمان ، سمعت به مذ كنت تلميذاً فى السنين الأواخر من المدرسة الابتدائية أيام الملك فيصل (١٩١٩) ، وكنا نعرفه علماً من أعلام السياسة ، ووزيراً فى وزارة المالية ، ولكنى لم أره قبل هذه الحفلة .

ومرت الأيام ، وخرجت من الثانوية ، واشتغلت بالسياسة (كما كان يشتغل بها كل ذى لسان يومئذ) ، وصرت سنة ١٩٣١ ، رئيس اللجنة العليا لطلبة دمشق ، ومحرراً فى الجريدة الوطنية الكبرى جريدة (اليوم) التى كان يقوم عليها الكاتب الوطنى الخطيب الأديب ، الذى علمنا تقديس الشرف ، وتقدير الرجولة ، عارف النكدى ، وكانت اللجنة تأتمر بأمر الكتلة الوطنية ، التى كان لها (فى تلك الأيام) قيادة الأمة ، وكانت هى وحدها تحمل لواء الجهاد ، والعمل على الاستقلال ، فكنت اتصل بكبار رجالها ، وكنت أحضر بعض مجالسهم ، وهناك عرفت فارس الخورى من قرب ، فرأيت فيه رجلا وديعاً ظريفاً ، حليما واسع الصدر ، ولكنه كان (مع هذا كله) هائلا ، مخيفاً ، تراه أبداً كالجبل الوقور على ظهر الفلاة لا يهزه شىء ، ولا يغضبه ولا يميل به إلى الحدة والهياج ، يدخل أعنف المناقشات بوجه طلق ، وأعصاب هادئة ، فيسد على خصومه المسالك ، ويقيم السدود ، من المنطق المحكم ، والنكتة الحاضرة والسخرية النادرة ، والعلم الفياض ، والأمثال والحكم والشواهد ، ويرقب اللحظة المناسبة حتى إذا وجدها ضرب الضربة الماحقة وهو ضاحك ، ثم مد يده يصافح الخصم الذى سقط ... لا يرفع صوته ، ولا يثور ولا يعبس ولا يغضب ، ولكنه كذلك لا يفر ولا يغلب .

---

(١) وهى فى الكتاب الذى لم يعمل وفى شــوق والحافظ ، حتى بالأدب ، مثله : (ذكرى الشاعرين) للأستاذ أحمد عبيد طبع (المكتبة العربية فى دمشق) .

وما رأيته يناقش أحداً إلا شبهته بأستاذ يناقش تلميذاً مدللا غبياً ، فأنت تلمس فى لهجته ولحظته وبسمته وكلمته ، صبره عليه ، وتملكه منه ، واشفاقه عليه .

***

ثم كنت تلميذه فى السنة الأخيرة من كلية الحقوق (١٩٣٢) وكان يدرس علم المالية ، وأصول المحاكمات المدنية ، يلقى درسه إلقاء لا تدرى أأنت تعجب وتطرب ، لفصاحة لهجته ، أم لغزارة مادته ، إلقاء غير محتفل به ولامتجمع له ، وكانت له عادة (لازمة) هى أن يأخذ قلماً رصاصياً طويلا ، فيقيمه على قاعدته وهو يسقط وهو يداريه ويعاوده حتى يستقر ، ولا يكاد ، ولا يبصر ذلك ولا يلقى باله إليه ، كأنه يكره أن تبقى يده بلا عمل فهو يشغلها به ، أو كأنه يرى هذا الدرس لا يستحق انتباهه كله ، ولا يملأ هذا الرأس النادر ... فيأخذه على أنه لهو وتسلية ، وكنا نورد عليه فى آخر الساعة أسئلة من كل فنّ ومشاكل فى كل موضوع فيجيب عنها كلها ، بتحقيق العالم ، أو ببلاغة الأديب ، أو بنكتة الشاعر ، ومن أجوبته الحاضرة ، ونكته السائرة ، أن طالباً (ثقيلا ...) سأله :

— ما فائدة هذه الحروف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء ، وظاء ، فنخرج ألسنتنا ، ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فقال له على الفور ، وقبل أن يتم سؤاله :

— لا فائدة لها أبداً ، وسنتركها ونجدد فنقول (كسّر الله من أمسالك) .

فسكت الثقيل خزيان .

ومن عجائب حلمه ، وسعة صدره ، ووقاره الذى لا يحركه شىء ، أنى أقبلت عليه مرة ، بعد الدرس ، وكانت لى عليه جراءة فقلت له أمام الطلاب :

— يا أستاذ . ما هذا القرار السخيف الذى وضعته البلدية ، لتقسيم أرض الدرويشية ؟ أليس من العار أن يصدر عن بلدية دمشق هذا الجهل وهذا الظلم وهذا ...

فى عشر مترادفات من هذا النمط ، ساق إليها نزق الشباب فلما انتهيت منها قال لى ، والابتسامة لم تمح عن شفتيه :

— أنا الذى وضع صيغة هذا القرار !

وراح يشرح لى مزاياه ، ولكنى لم أفهم منها شيئاً ، وشعرت من الخجل كأن دلو ماء حار صبّ علىّ ، وقد مرت على ذلك الآن خمس عشرة سنة ، ولا يزال صوته (يدوّى) فى أذنى ، فأشعر بالخجل من هذا الموقف .

***

وخرجت من الكلية وكنت أراه فى الترام ، أو ألمحه فى الطريق ، فأجد من إيناسه وسؤاله عنى ، وحفاوته بى ، ما يملأ نفسى شكراً ، وهذه مزية من مزاياه ؛ يشعر كل من يلقاه أنه صديقه الأوحد ، وأنه أقرب الناس إليه ، وأنه لا يشتغل إلا بذكره ومعرفة أمره ، والعناية به ، وكنت أزور المجمع العلمى العربى ، وهو من كبار أعضائه ، فأراه أحياناً فى مناقشات أدبية أو لغوية ، فإذا هو فى مجال العلم والحفظ ، كما كان فى مجال الرأى والفكر ، وإذا هو متسلط غلاب فى مصاولات الأدب واللغة ، كما كان الغلاب المتسلط فى مصاولات السياسة .

ومرت الأيام وصار رئيس مجلس النواب ، فكانت رياسته عجباً من العجب ، وكان الوافدون على دمشق ، لا يريدون إذا رأوا جامع بنى أمية ، والربوة وقاسيون ، إلا أن يروه على منصة الرياسة ، ليحدثوا قومهم إذا رجعوا إليهم بجليل مارأوا وماحضروا كان النواب بين يديه (ولا مؤاخذة يا سادتى النواب) كالتلاميذ بل إن أكثرهم كانوا تلاميذه فعلا ، وكان يصرفهم تصريفاً لا يوصف ولا يثبت على الورق ، وما هم بالذين يصرفون أو يسيرون وإن فيهم لكل باقعة داهية ذرب اللسان حديد الجنان آفة من الآفات ، يطيح بالحكومات ، وينسف الوزارات ، ولكن الحدأة تسطو على العصافير ، فإن قابلت النسر المضرحىّ عادت هى عصفوراً ...

وكانت تشتبك الآراء ، وتتداخل المقترحات ، وتشتد المنازعات ، وتثور الحزبيات ، فما هى إلا أن يتكلم ويلخص الموقف ، ويفسر الأقوال ، ويبيّن المقاصد ، حتى يقرب البعيدين ويجمع الشتيتين ، ويصب على جمرة الغضب سطل ماء ، ويستل الرأى الموافق من بين الآراء المشتبكة ، سلّ الشعرة من العجين ، ويعرضه للتصويت ، وكان له فى هذا العرض (فنّ) ، ما تنبه له الناس إلا بعد حين ، هو أن فى النواب ، من لا يشتغل حتى ولا يرفع

اليد ، ولا ينال الأمة منه إلا حضوره الجلسة ، وقبضه الراتب ، وكان يعرف هؤلاء ، فتارة يقول (الموافق يرفع يده) ، فيكونون مع المخالفين ، وتارة يقول (المخالف يرفع يده) فيكونون مع الموافقين يكفّ بذلك من جموح الأكثرية ، ويقوم من اعوجاجها ...

***

وغضب مني سعدالله الجابري مرة ، وكان رئيس وزارة ، وهو رجل حلبي لا يعرفني ، فاضطررت أن استشهد ببعض من يعرفني من رجال الكتلة ، فما رأيت أقرب إليّ من فارس بك ، وكان رئيس المجلس ، وقطب رحى السياسة العليا ، وكان كثير المشاغل ضيق الوقت ، ولم يكن بدّ من أن أسأله موعداً ، ولكني كنت في عجلة من أمري ، فذهبت إليه بعد العصر في ساعة ينام فيها أكثر الناس ، فحاول الشرطي أن يردني ، فنهرته ورفعت صوتي فسمعني فخرج إليّ ، مبتسما ، وقال له :

— هذا الشيخ علي ! ألا تعرفه ؟ إنه دائماً مشاغب !

وأدخلني ، فرأيت المنصب لم يبدل منه شيئاً . إنما يبدل المنصب من يكون أقل منه فيكبر به ، لا من يكون أكبر من مناصب الأرض كلها ، وقديماً قيل : السنبلة المملوءة تنحني ، والفارغة ترفع رأسها .

ودخلت عليه في مكتبه وهو رئيس وزارة ، فما وجدت إلا أستاذنا فارس الخوري ، الأستاذ العالم الأديب الحاضر الجواب ، الصائد النكتة ، وكنت أظن أني سأجد دولة الرئيس فارس بك الخوري الذي لا يكلم إلا بعريضة ، ولا يخاطبُ إلا بالبروتوكول !

***

وفارس الخوري واحد من الشيخة الأجلاء الذين تعتز بهم دمشق ، والذين إن فاخرت انكلترا بتشرشل ، وعمله عمل الشباب وهو في سن الشيوخة ، فإن كل واحد منهم تشرشل لنا ، لا نفخر بأنه بقي شابا في عمر الشيوخ ، بل بما جمع إلى ذلك من العلم والفضل ، والثقافة والعرفان ، كالشيخ عبدالمحسن الاسطواني علامة الشام الذي لا يزال موظفاً له همة الشباب ، وهو (حفظه الله) فوق التسعين ، والشيخ كرد علي أبي النهضة الأدبية في الشام ، الذي يعمل اليوم دائباً على المطالعة والبحث والتأليف ، كما كان يعمل منذ خمسين سنة ، عندما كان محرراً في (المؤيد) ، وفي (المقتطف) من قبله ، وكان يصدر مجلة (المقتبس) من بعده ، فكانت دعامة ضخمة في صرح نهضتنا الأدبية والعلمية ، والشيخ الذي لا يزال شاباً يمشي عشرة أميال ، وهو يقر أنه في الثمانين ، والذي لا يُدرى أذهنه أفتى أم روحه أم جسمه ، الذي يكتب اليوم وقد كان يكتب من نصف قرن : المغربي ، والشيخ القوي الأمين ، الذي كان في أول سنة من هذا القرن الهجري قاضياً في دوما ولا يزال عالماً عاملا نشيطاً كيوم كان في دوما : سليمان الجوخدار وهذا الشيخ (الخوري)[1] الذي شهدت بعبقريته الدنيا ، وأكبرته الأجيال[2] على اختلاف ألوانها وألسنتها وبلدانها ، ورأت فيه (شخصية) ضخمة ، لا نوزن بها (شخصيات) هؤلاء الذين ألقت إليهم قوة دونهم مقاليد الأرض ، وحكمتهم في رقاب البشر ، واعترفوا بأنه حمل مع عبء الثمانين[3] حمل رياسة مجلس الأمن فكان خير رئيس له وأقواه . هذا ، وليس وراءه أسطول منه جاءت هيبته ، ولا قنبلة ذرية قامت عليها سطوته ، ما وراءه إلا أمة صغيرة كبّرتها عبقريته ، ودولة ضعيفة قوّتها (شخصيته) ، حتى كان صوتها أعلى الأصوات ، وكلامها أبلغ الكلام ، وخطبته عنها هي نقطة التحول في مجرى الرأي في مجلس الأمن ، كما قال الأستاذ الصاوي في (أخبار اليوم) .

ولقد عجب الذين لا يعرفون فارس الخوري لما سمعوا أنه لم يقرأ خطبته من كتاب ، ولا تلاها من ورقة ، بل ارتجلها ارتجالا ولم يكن في يده إلا بطاقة فيها (خرابيش) بالقلم الرصاص ، رآه النقراشي وهو يخطها فحسب أنها مذكرات له في مسائل عادية من مسائل الحياة ، فلما رأى أنها هي الخطبة العظيمة التي هزت أضخم هيئة دولية في الأرض ، بلغ عجبه من هذا الرجل ، وإعجابه به ، أبعد حدوده ...

أما نحن فلم نعجب ، لأن الشيء من معدنه لا يستغرب ، وهذا الرجل الذي بدأ يتعلم الانكليزية قبل أن يولد أكثر أعضاء الوفد المصري في مجلس الأمن ، والذي أعطاه الله هذا الذهن العجيب ، فجعله لغوياً أديباً شاعراً حقوقياً مشاركا في كل فروع الثقافة ، وأمدّه بمنطق سديد ، وعقل نادر المثال ، ورزقه ذكاء

(١) وآخرين لم أحصهم

(٢) الجيل : الأمة فالعرب جيل والترك جيل ، والانكليز جيل ، قبح الله هذا الجيل . (٣) لا الثمانية والستين .

ما أعرف أحدٌ منه ولا أمضى ، وبديهة غريبة ، وجمل له مع ذلك كله ، هذا الرأس الكبير ، وهذه الشيبة المهيبة ، وهذا الصوت المدوّي الملىء بالعظمة والثقة بالنفس والتعالى ، وهذا الصدر الواسع ، وهذا الحلم مع القوة ، وهذا الحزم بلا عنف ، هذا الرجل لا يستكثر عليه أن يرتجل خطبة باللغة الانكليزية ، وأن يجول بها أفكار وكلاء الدول فى مجلس الأمن .

* * *

وبعد فلا يحسب القارئ أنى غلوت ، أو بالغت ، فما ذكرت إلا ما أراه حقاً ، وما فى الأمر مجال لرغبة تدفع إلى المدح ، ولا رهبة تمنع من القدح ، فأنا لا أرهب الرجل ، ولا أرغب فى شىء منه ، وربما مرت هذه المقالة فلم يقرأها ، وإنما أريد المشاركة فى تأريخ سيرة عظيم من عظماء العرب .

(القاهرة) علي الطنطاوي

القسم الحادى عشر :

فرنســـا ومستعمراتها

الاستعمار يواجه الاسلام فى الجزائر

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » . (آل عمران)

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجـــوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » . (البقرة)

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » . (الأنعام)

تبرز للعالم قوة الإسلام وعظمة الرسالة المحمدية ، فى هذه الآيات البينات التى دعت المسلمين إلى الصبر والمصابرة والوقوف أمام حوادث الدهر بشجاعة وثبات فلا تلين قناتهم وتذهب ريحهم وإنا لنبعث بها تحية لإخواننا المسلمين بالجزائر الذين وقفوا أمام فرنسا وجبروتها. ولئن كانت صفحات كفاحهم السياسى والحربى فى الجزائر أمرها معروف تداولتها الأيام ، فإن كفاحهم الدينى فى وطنهم وثباتهم معجزة من معجزات الله ، لأن فرنسا فى معاهدة ١٨٣٠ مع حاكم الجزائر تعهدت كما قلنا باحترام الدين الإسلامى وشعائره ، وأخذت على نفسها المواثيق بأن تترك للمسلمين أوقافهم وعوائدهم ثم عقدت عدة معاهدات واتفاقات مع الأمير عبد القادر الجزائرى وغيره من الزعماء وفى نصوصها جميعاً : العهود والمواثيق على إقرار هذه المبادىء وهى حرية العقيدة وترك أمور الدين الإسلامى وشعائره بيد أهله .

ولـكن هذه المعاهدات وما تحمله من أيمان ووعود وما أعقبها من تصريحات رسمية صادرة من الحكومة الفرنسية وممثليها ، ثم من الأمبراطور نابليون الثالث نفسه عند زيارته للأقطار الجزائرية كل هذا لم يمنع الاستعمار أن يبسط يده على كل شىء فى هذه البقعة العزيزة علينا ، وكان من جملة ذلك أن مدت فرنسا يدها إلى الدين الإسلامى وإلى الأوقاف الإسلامية ، تراث القرون الماضية ومفخرة المسلمين : لأنها أوجدت ووقفت وبقيت الأزمان واحترمها ملوك المسلمين وأمراؤهم لما يعلمون من أنها أرصدت للصرف على المؤسسات الإسلامية ، وهى هذه المدارس والمساجد الجامعة ، التى تحرص على تثقيف أبناء الأمة وتثبيت قواعد الدين ، وتلقين الناس تعاليم الشريعة الغراء .

فما الذى حدث فى الجزائر ؟

ذكر الدكتور أنريكو انسابانو الإيطالى فى كتابه الإسلام وسياسة الحلفاء (ص ٧٠) ما يأتى بالنص :

ارتبطت الحكومات الأوروبية فى بعض الجهات باحترام أملاك الأوقاف وما أرصد من الأملاك على الزوايا والطرق الصوفية وهذا شرط خطير يحسن بإيطاليا أن تفكر طويلا قبل أن تأخذ به لما ينتج عن احترامه من نتائج وخيمة . سبق لفرنسا أن تحملتها فى الجزائر ، لأنها حينما أعطت هذه المواثيق والعهود لم تكن لديها فكرة واضحة تماماً عن أهميـة أوقاف المسلمين وأثرها فى إبقاء قوتهم الدينية فكان من نتيجة هذه السياسة المرتجلة أن ارتكبت فرنسا سلسلة من الأخطاء للخروج من هذه السياسة التى فرضتها على نفسها فاضطرت أن تناقض ما أخذت به نفسها وتعهدت للمسلمين باحترامه .

وقد هاجم المستعمرون نظام الأوقاف فى شمال إفريقية عامة ، قالوا إنه نظام رجعى يمنع تداول الثروات ، والقصد من ذلك

حرمان المسلمين من أملاكهم ، ونسبوا إليه أنه نوع من الاستغلال لعمل الإنسان لأنه يفرض الجبر وذلك حينما رأوا الطلبة والمريدين يتلقون العلم فى الزوايا والمدارس الإسلامية ، ويعملون فى زراعة الأراضى الملحقة بالمعاهد ، وكانوا يطلقون على هذا العمل التعاونى الإنسانى اسم المعونة ، ولما ازدهرت أملاك الأوقاف وزاد خيرها ، استكثروا هذا الخير عليها وحاربوها باسم الحرية والعدالة والمساواة ، وهم يعلمون أنهم يقصدون أولا وآخراً هدم قواعد الدين وإفقار أهله ، وهذا ما وصلوا إليه حينما شردوا الطلبة ونزعوا أملاك الأوقاف .

ولم تكن هذه الأوقاف مرصدة للعلم وحده وإنما كانت لوجه الله ، للسائل والمحروم وفى هذه الناحية بالذات يقول صاحب كتاب « التشريع الإسلامى الجزائرى صفحة ١٨٠ ما يأتى : « إن خمسة أعشار الأراضى الزراعية فى الجزائر كانت أوقافاً ، وأن فرنسا حينما صادرت هذه الأملاك ، بسطت يدها على الدين الإسلامى ، وجعلت آلافاً من الأهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك الأراضى ، جماعات تتجول لطلب العيش فأصبحت تسمى بفيالق الفقراء » .

والحكومة الفرنسية تمثل فكرة لادينية ، لايكية ، ومعنى هذه السياسة فى العرف الذى نادت به فرنسا هو : الكنيسة الحرة تتعاون مع الدولة الحرة .

وتفسير ذلك أن تمتنع الحكومة عن فرض إرادتها على أنظمة الكنيسة وقرارات رجال الدين ، فيبقى الفاتيكان يقوم برسالته الدينية والسياسية ، بحرية أوسع مما كان فى السابق .

ولما انتقدت سياسة فصل الدين عن الدولة صرح المسيو Thégard فى مجلس الشيوخ « أن هذا الفصل طلاق ولكنه يلزم الطرفين بالعيش تحت سقف واحد ، مع تعاون وتفاهم أوثق مما عهداه قبل صدور حكم الطلاق » .

وقال المسيو Méline « إن الكاثوليك سيكونون أكثر كاثوليكية تحت هذا القانون ، لأنه يؤكد سلطة البابا ويحترم ممثليه ويترك لهم الحرية أن يقفوا للدفاع عن أعمالهم أمام ممثلى الجمهورية » .

وليس هناك أصرح من هذه الأقوال لترك شؤون الله لله وشؤون قيصر لقيصر ، فما الذى عيأنه حكومة الجمهورية التى فصلت الدين عن السياسة ، لرعاياها المسلمين الذين اعترفت لهم بحقوقهم الدينية كاملة .

يقول صاحبا كتاب « بحث التشريع الجزائرى » صفحة ٦٣٢ لارشير Larcher دركتنفالد Decténvald .

« إن الأوقاف الإسلامية التى تتولاها الدولة بصرف دخلها على ناحيتين :

الدين الكاثوليكى : ٧٩٠٫٠٠٠ فرنكا .

« الإسلامى : ٣٣٧٫٠٠٠ »

والاعتراض الأساسى هو كيف تتولى دولة ينص دستورها على فصل تام بين شئون الدين والدنيا ، إملاك دين لم يكن له بها صلة فى يوم من الأيام ، فعلى أية قاعدة بنيت هذه السياسة ؟

والاعتراض الثانى هو إذا فرض أن رأت الدولة أن تتبرع من أموالها بهذه المبالغ وهى دولة لادينية ، فالمعروف أن اتباع الديانة الكاثوليكية لا يصلون إلى عشر السكان المسلمين ولكنهم يتمتعون بما يزيد على ضعف المبالغ المخصصة للشئون الدينية لمن هم أكثر من عشرة أضعافهم . فأى قاعدة إنصاف أخذت بها ؟

ويهون الأمر لو كان هذا تبرعاً ولكن يؤخذ من أملاك وأموال وأوقاف المسلمين وهى مرصدة ومحبوسة على هذه الناحية منذ قرون طويلة الأمد ولم يتعرض لها أحد من الدول التى تعاقبت على حكم الجزائر . وهذه ثالثة الاعتداءات التى لا يبررها منطق للآن .

ويفسر لنا كيف ضعفت الحياة الدينية فى الجزائر وفى ذلك يروى لنا «البير ديفوكلى» albert devauci فى كتابه المؤسسات الدينية فى العاصمة الجزائرية أن مدينة الجزائر كانت تحوى ١٧٦ مسجداً فى سنة ١٨٣٠ ، ولايوجد فى القطر الجزائرى بأكمله غير ١٦٦ مسجداً جامعاً كما ذكر ذلك صاحب « بحث التشريع الجزائرى » ولا نشك فى أن هذا العدد سيهبط إذا دام حكم فرنسا جيلا آخر .

ولبيان هذه السياسة التعسفية إزاء المسلمين وشريعتهم ودينهم يحسن أن نشرح هذه الفكرة من مراجع الاستعمار الفرنسى نفسه :

فقد جاء فى كتاب جورج هاردى Georges Hardy « نظرياتنا الاستعمارية الكبرى » « أنه فى المناطق التى لم يسدها الإسلام قط أى فى أفريقيا السوداء يجب أن تحاذ الأديان

والمذاهب الإفريقية بما يكفل حمايتها وبقاءها وفى مناطق البربر بجب منع تعليم اللغة العربية منعاً باتاً ؛ وعدم تشجيع نشر المكاتب القرآنية ، ومنع نصب القضاة الإسلاميين والحيلولة دون تنفيذ شريعة الإسلام .

أما فى الجهات التى ثبتت قواعده فى ربوعها فلا مانع من تركه يعيش ولكن فلنحترس من الاهتمام بأمره أو إظهار الإعجاب به »

فهذه أصول السياسة الإسلامية الفرنسية وهى تحول دون انتشاره فى أفريقيا وتعتبر القبائل من أهل الجزائر ومراكش غير مسلمين ، وتحاول أن تحد من أثر الإسلام فى المناطق الإسلامية الصميمة .

فلننظر إلى ابتداء هذه السياسة وما تركته فى نفس الشيخ محمد بيرم التونسى صاحب كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار الذى طبعه سنة ١٣٠٢ هجرية عن زيارته لمدينة الجزائر فى رحلته عام ١٢٩٥ هجرية وقد مضى على ذلك سبعون عاماً تقريباً إذ قال :

« إن الدول الفرنسية هى القائمة بمصاريف إقامة الجوامع وما فيها من قراءة الأحزاب أو كتب الحديث لأنها استولت على جميع الأوقاف واقتصرت فى كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما ناسبها وحرمت المستحقين من مالهم كأوقاف الحرمين » .

وذكر كيف أقدمت الهيئات التبشيرية عند وقوع المجاعة الكبرى فى الجزائر، على تنصير عدد من أولاد الأعراب وغيرهم من المسلمين بنات وأطفالا ، وأن بعضهم منهم لما كبروا وعلموا بأن أهلهم مسلمون فروا إلى أهليهم .

وأشار إلى بقية من علوم السلف كانت تدرس فى قسنطينة وتلمسان والجهات الجنوبية ولكن القلق كان شاملا أفاضل العلماء، فقد تقابل مع الشيخ على الخفاف المفتى المالكى بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الإفريقى الشيخ إبراهيم الرياحى ، وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع فى الفقه والحديث ، ولما أنس بمؤلف الكتاب فاتحه فى أمر الهجرة إلى بلاد الإسلام فأخبره أن مثله نادر الوجود وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم ، أنفع له وأثوب عند الله من خروجه بنفسه ، وترك تلك الأمة المسلمة خالية من مثله ، بل ربما كانت هجرته سبباً فى خروج غيره ؛ فتحرم عامة المسلمين ممن يلقنهم تعاليم الإسلام وعقائد الفقه ، وقد ورد فى كتب الشريعة ، أنه إذا تعذر على ولى الأمر فداء الأسارى من يدى العدو فليؤخر بينهم العلماء » .

***

فهذه حالة الجزائر من ناحية من أهم النواحى التى فهمنا ، ناحية العقيدة الإسلامية وفيها عبرة وتذكرة لمن يريد أن يفهم حقائق الإسلام فى قطر من أعز الأقطار الإسلامية ، وأقربها إلينا وأبعدها أثراً فى تاريخ أفريقيا العربية التى لن تموت وفيها دعائم الإسلام قائمة .

وإننا لنعدها معجزة أن بقيت هذه الدعائم فى أفئدة ملايين من الناس بعد سنوات الضغط السياسى والمحاربة التعسفية التى أشرنا إليها ، ولكن الذى نخشاه هو أثر سياسة الافقار التى فرضتها فرنسا على رعاياها المسلمين فهذه أبعد غوراً من أى أساليب الإرهاق التى رآها العالم وهى التى ورد وصفها فى محكم الآيات الواردة بالقرآن بقوله تعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس » فقد أصيب المسلمون فى نكبتهم بالاستعمار الفرنسى بهذه النوائب : قلة الغذاء ، وكثرة المرض ، وسكنى المنازل التى لا تليق بالإنسان . ثم دهمتهم فى السنوات الأخيرة نكبات القحط المتتالية ، وتفشت فيهم الأمراض القاتلة .

فهناك تفعل قلة الغذاء أو عدم تنظيمه ما تفعله فى كافة بلدان الدنيا التى أصيبت بحكم الأوربيين حتى أصبح الكلام هنا إعادة لما سبق ذكره وتأثير هذا كبير فى تكاثر السكان وتناسلهم ، وفى إخراج جيل من الأجناس البشرية ضعيف لا يقوى على البقاء أو الصمود أمام تفوق الأجناس الأوروبية من الناحيتين : العقلية والبدنية .

ويسكن لدينا عدد من السكان فى أكواخ من صفائح الغاز الفارغة ولكن فى الجزائر يعيش أكثر من نصف مليون مسلم فى أحياء بزمتها أو مدن قامت على هذا النوع من المساكن ولهذا لا نعجب أن نسمع إن أكثر من ٠٠٠ر ٤ جزائرى مصابون بالسل وهو يعادل عدد المصابين به فى فرنسا وسكانها يقرب من أربعين مليونا ، ولما كانت الوقاية الصحية غير متوفرة لدى الأهالى وليس لديهم أية خدمات لحمايتهم فقد انتشرت الأمراض الزهرية

١٢ – تفسـير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

(تتمة)

الرموز فى الأحلام :

أظن هذه الأمثلة كافية لوضع حد لهذا الموضوع ، وهى ليست إلا أمثلة فقط ، فنحن نعرف أكثر من هذا كثيراً فيما يتعلق بالرموز . وإن فى استطاعتكم أن تتصوروا كيف تكون مجموعة من هذا النوع أكثر دسامة ، وأدعى إلى الاهتمام إذا قام بجمعها أشخاص خبراء فى دراسة الأساطير ، وحياة الإنسان ، وفلسفة اللغات ، والقصص الشعبية ، لا أشخاص مثلنا قليلو العناية بما يدرسون . غير أننا نجد أنفسنا مدفوعين إلى الاعتراف ببعض النتائج التى لا يمكننا أن نستنفد كل ما فيها ، ولكنها مع ذلك تمدنا بالكثير الذى يتطلب الروية والتفكير .

فنحن نواجه قبل كل شىء بالحقيقة الماثلة أمامنا وهى أن الحالم يجد تحت يده أسلوباً رمزياً للتعبير ، لا يعلم عنه شيئاً بل لا يستطيع أن يتعرف عليه وهو يقظان . وهذه الحقيقة لا يعادلها فى الغرابة إلا أن تكتشف فجأة أن الخادم التى عندك تفهم السنسكريتية فى الوقت الذى تعلم فيه أنها قد نشأت فى قرية بوهيمية ولم تتعلم قط هذه اللغة . وليس من السهل أن نوفق بين هذه الحقيقة وبين نظرياتنا فى علم النفس ؛ وكل ما نستطيع قوله هو أن معرفة الحالم بالرمزية معرفة لا شعورية تتصل بحياته العقلية الباطنة ، ولكنى أحسب أنه حتى هذا الفرض لن يساعدنا كثيراً فنحن إلى الآن لم نفعل أكثر من أن فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكون مجهولة لدينا لبعض الوقت أو على طول الخط ؛ ولكن المسألة الآن أكثر اتساعاً ، وعلينا فى الواقع أن نعتقد فى وجود معرفة لاشعورية ، وارتباط لاشعورى بين الأفكار ، ومقارنات لاشعورية بين الأشياء المختلفة يمكن بموجبها لكل فكرة أن تستبدل دائماً بأخرى . وهذه المقارنات لا تنشأ من جديد فى كل مرة ، بل هى رهن الإشارة ، صالحة لكل وقت ، وهى نتيجة استخلصناها من التشابه الذى نجده بين الأشخاص المختلفين ، حتى على الرغم من تباين لغاتهم أيضاً .

ما هو المصدر الذى نحصل منه إذاً على معرفتنا بالرمزية ؟ إن استعمال اللغة فى الحديث لا يشمل إلا جزءاً بسيطاً فقط ، بينما الأمثلة المتعددة فى المجالات الأخرى تكون فى الغالب مجهولة لدى الحالم ، وقد عانينا نحن أنفسنا فى مبدأ الأمر مشقة فى تنظيمها والمقارنة بينها .

ونقطة ثانية هى أن هذه العلاقات الرمزية ليست صفة خاصة بالحالم أو بعمل الحلم ، وهو السبب فى التعبير بها ، لأننا اكتشفنا أن نفس هذه الرموز مستعملة كذلك فى الأساطير و « الحواديت » وفى الأقوال المأثورة والأناشيد ، وفى الأحاديث الدارجة والخيالات الشعرية . فميدان الرمزية ميدان غريب الاتساع ، وليست الرمزية فى الأحلام إلا جزءاً صغيراً منه ، وحتى إذا عالجنا الموضوع بأكمله من ناحية الأحلام فقط ، فلن يكون فى ذلك نفع ما .

انتشاراً اجتياح قوى برمتها .

إن أعظم صورة تقدمها فرنسا بعد حكم دام أكثر من قرن من الزمن ، هو مواكب النساء والرجال والأطفال الذين لا يجدون من الكساء إلا ما يسترهم يسيرون نحو بقايا الأطعمة ومزابلها يلتقطونها لسد رمقهم ؛ بعد أن حرمتهم حكومة الاستعمار من زعمائهم وقادتهم ومدارسهم وأوقافهم ، وفرضت عليهم الذلة والمسكنة وحرمتهم من كل مميزات الشخصية : الدين واللغة والتوجيه ؛ لقد بقى لهم شىء واحد هو : الإسلام والإيمان بالله .

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » .

ولقد يضحك الاستعمار من هذا الخضوع والاستسلام ، ويرى فيه أن الأمة التى كانت ترج البحر الأبيض المتوسط قبل احتلال فرنسا قد رقدت رقدتها النهائية وأصبحت فى ذمة التاريخ بعد أن أدت رسالتها ، ولكنه مخطئ لأن الأمة الجزائرية ستحطم هذه الأغلال ، وستخرج من هذه الظلمات بقوة تبهر فرنسا والكولون الفرنسى ، لأن النيران المتأججة لا يزال بريقها وإشعاعها تخفيه تحت الرماد أمة إذا تحركت وثارت ستهز هذا الركن هزة عنيفة لا تقدر على الوقوف إزاءها قوات الظلم والتعسف .

أحمد رمزى

فكثير من الرموز التي تقع باستمرار في نواح أخرى ، يندر ظهورها في الأحلام أو ينعدم بالمرة . ومن ناحية أخرى نجد أن الرموز المستعملة في الأحلام لا تمر بنا في كل مجال آخر ، ولكنها كما رأيتم ، موزعة هنا وهناك . ومن هنا يتولد لدينا الإحساس بأننا نعالج أسلوباً قديماً في التعبير قد بطل استعماله ، ولم تبق منه إلا نتف بسيطة متناثرة ، واحدة هنا فقط ، وأخرى هنالك فقط ، وثالثة في مجالات متنوعة ، ربما على أشكال مختلفة بعض الاختلاف.

وثمة نقطة ثالثة ، فلا شك أنكم ستدهشون لأن الرموز التي تقع في المجالات الأخرى التي ذكرتها لكم ، ليست قاصرة على المواضيع الجنسية فقط ، بينما نجد في الأحلام أن الرموز يقتصر استعمالها في الغالب على تمثيل الأشياء والعلاقات الجنسية . وهذه النقطة من الصعب تعليلها . أيحق لنا أن نفرض أن الرموز التي كانت في مبدأ الأمر ذات دلالة جنسية ، قد صار استعمالها أخيراً بشكل آخر ، وأن من الجائز أن يكون هناك ارتباط بين ذلك وبين الميل عن الأسلوب الرمزي في التعبير إلى أساليب أخرى ؟ أظن من الواضح أننا لا يمكننا الإجابة عن هذه الأسئلة إذا اقتصرنا على معالجة الرمزية في الأحلام فقط ، وكل ما نستطيع عمله الآن هو أن نتمسك بما افترضناه من أن هناك علاقة خاصة قوية بين الجنسية والرموز الحقيقية

وهناك دليل هام في هذا المعنى قدمه إلينا أخيراً الباحث في فلسفة اللغات « إتش . سبيرير » (H. Sperber) ، (وهو يعمل مستقلا عن التحليل النفسي) وهو أن الحاجات الجنسية كان لها النصيب الأكبر في نشأة وتطور اللغات . فهو يقول أن الأصوات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت وسيلة للمناجاة والاتصال بينه وبين الجنس الآخر ، ثم تطور الحال فيما بعد وصارت عناصر الحديث تصاحب أنواع العمل المختلفة التي يقوم بها الرجل البدائي . فكان الناس يبذلون الجهود المشتركة في القيام بهذا العمل وهم يدندنون بأصوات وترانيم منغمة تسبغ على العمل طابعاً من الاهتمام الجنسي . ومعنى هذا أن الرجل البدائي كان يجعل العمل مستساغاً بأن يزاوله كما لو كان مساوياً أو بديلا من النشاط الجنسي . ولذا فالكلمة التي كان ينطق بها أثناء العمل المشترك كانت تحمل معنيين ، أحدهما يدل على العملية الجنسية والآخر على العمل الذي صار مساوياً لها ؛ إلى أن جاء الوقت الذي انفصلت فيه الكلمة عن دلالتها الجنسية وصار استخدامها محصوراً في الدلالة على العمل . وعلى مر الأجيال حدث نفس الشيء لكلمة جديدة لها دلالة جنسية ، فصار استخدامها للدلالة على نوع جديد من العمل . وبهذه الطريقة برزت عدة كلمات أصلية كانت كلها ذات مصدر جنسي ، ولكنها فقدت جميعاً معناها الجنسي . فإذا كان هذا القول الذي ألممنا بطرف منه هنا صحيحاً ، فإنه يفتح أمامنا على الأقل وسيلة لفهم الرموز في الأحلام ، فنستطيع أن ندرك السبب في أن الأحلام ، وهي تحتفظ ببقية من هذه الصفات البدائية ، تحتوي على عدد من الرموز الجنسية أكبر من المعقول ، وأن الأسلحة والأدوات على العموم تمثل الذكر ، بينما المواد والأشياء التي يجرى عليها العمل تمثل الأنثى. ومعنى ذلك أن العلاقات الرمزية عبارة عن مخلفات هذا التشابه القديم بين الكلمات ، فالأشياء التي كان لها في يوم ما نفس الاسم الذي يطلق على الأعضاء التناسلية ، تستطيع أن تظهر الآن في الأحلام كرموز لها .

والنقطة الرابعة التي أود ذكرها تكر بنا راجعين إلى المكان الذي بدأنا منه ثم تسلك بنا نفس الطريق الذي سلكناه . فقد قلنا أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام ، فإننا سنلاقي مع ذلك صعوبة في التفسير ، لأننا سنواجه في هذه الحالة بمشكلة اللغة الرمزية المستعملة في الأحلام والتي تتطلب منا ترجمتها إلى اللغة المستعملة في حياة اليقظة . وعلى هذا فالرمزية تعتبر عاملا ثانياً قائماً بذاته في تحريف الأحلام ، وهو يقف جنباً بجنب مع الرقابة . ولكن النتيجة الواضحة هي أن الرقابة تجد أن من الملائم لها أن تنتفع بالرمزية ، بما أنهما يخدمان نفس الغرض ، أي خلع هالة من الغرابة والغموض على الأحلام .

وأما إذا كانت تمت دراسة أخرى للأحلام لن توصلنا إلى معرفة عامل آخر يشترك في التحريف ، فهذا ما سوف نراه قريباً. ولكن يجب أن لا أدع موضوع الرمزية في الأحلام قبل أن أمس مرة أخرى الحقيقة المبلبلة وهي أن الرمزية قد نجحت في إثارة معارضات قوية بين أشخاص متفقين على الرغم من أن تفشيها في الأديان والأساطير ، والفنون واللغات ، مما لا يقبل الشك. أليس من المحتمل إذاً أن السبب في ذلك يرجع هنا أيضاً إلى الصلة التي بينها وبين الجنسية ؟

محمد جمال الدين حسن

مع ميخائيل نعيمه
في (زاد المعاد)

للأستاذ مناور عويس

« غداً ستغمرنا لجة العدم بأحزابنا وأوصابنا ، بجائعنا ومتخومنا ، بفقيرنا وموسرنا ، بوجيهنا وحقيرنا ، وستقوض الأيام أركان ما شدناه من البنايات السياسية والاقتصادية فلا يبقى إلا الخالد والجميل والحق فينا ... ومن ذا الذي يبقى ليخبر عن الخالد والجميل والحق فينا إن لم يكن ابن الأدب والفن ؟ ! »

« نعيمه »

لك الله يا ميخائيل كم لك على من يد بيضاء !

في الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٤٧ نعى الموت بابن أخي « جمال نوري عويس » فرحت التمس العزاء في الشعر العربي القديم منه والحديث — فقد كان الأدب وما زال هو الملجأ والملاذ الذي أهرب إليه في الأزمات والملمات — فماذا وجدت ؟ وجدت شعراً مفجعاً مؤثراً غير أنه فردي لا يصلح لكل إنسان ولا يسمو به فوق المكان والزمان ، اللهم إلا رائعة رهين المحبسين الخالدة وهل أعني سوى « غير مجد » ؟

وإذا بيدي تمتد إلى « زاد المعاد » فأفتحه وإذا بي أقع على هذه الآيات في الموت والحياة :

« وعندي أن من ينوح على ميت إنما ينوح على الله ، ومتى كان الله في حاجة إلى نوحكم ونوحي ؟ أو ليس الله حياً من الأزل وإلى الأبد ؟ إذن كل ما ينبثق منه يحيا بحياته مهما تبدلت أحواله وكيفما تغيرت أشكاله ، والذي يقول إن الأموات بادوا واندثروا إنما يقول إن الله الذي كان وما يزال حياً فيهم قد باد واندثر .

والذي يؤمن بأن الموت رب الحياة أحرى به أن يعبد الموت ويكفر بالحياة ، والذي يبصر في الموت نهاية الحياة إنما هو ضرير لا يبصر الحياة ولا الموت ! ...

فما بالنا ونحن الذين حصرنا الزمان بين المهد واللحد نقبل على المهد ونهرب من اللحد ، وما المهد إلا طريق اللحد وبابه ؟ !

ما بالنا نلثم اليد التي كتبت الفاتحة ونعض اليد التي خطت الخاتمة ، واليد التي خطت الخاتمة هي عين اليد التي كتبت الفاتحة ؟ إن تكن خاتمة العمر شراً فالفاتحة التي تؤدي إليها شر مثلها . وإذ ذاك أحرى بنا أن ننوح على من يولد قبل أن ننوح على من يموت .

أروني أكلكم بالأحاجي ؟ وبماذا عساني أكلمكم إن لم يكن بالأحاجي ؟ وتقاليد الناس قد جعلت من وجودهم سلسلة كل حلقه فيها أحجية ؟ أجل . إنها لأحجية أن تفصل بين الحياة والموت وهما متصلان اتصال النهار بالليل ، واليقظة بالمنام ، والزهرة بالثمرة ، وقطرة الطل بقطعة الجليد . إنها لأحجية أن تميت نبات الأرض وطيرها وحيوانها لتحولها لحماً في جسدك ودماً وعظماً وأن تدعو موتها حياة وعندما تحول الأرض جسدك نباتاً وطيراً وحيواناً أن تدعو ذلك موتاً لا حياة ! إنها لأحجية أن تأكل الموت في كل ما تأكل وتشربه في كل ما تشرب وتلبسه في كل ما تلبس ، وأن تنام وتقوم وإياه . وأن تشتهيه في كل شهوة من شهواتك . وأن تباركه في كل ذلك باسم الحياة . ومن ثم أن تلعنه عندما يأكلك ويشربك ويلبسك ويشتهيك ! ... الخ

قرأت هذه الآيات التي تزخر بالإنسانية والفلسفة والشعر والمنطق فإذا بي أحس بدبيب التعزية يسري في نفسي وإذا بالثورة التي كانت تعتلج في روحي قد استحالت هدوءاً وسكينة واستسلاماً فخرجت بالنتيجة الآتية :

إن الأدباء صنفان : صنف يرهقك بآرائه وآراء غيره الجافة التي تعتمد على البحث والاستقراء دون أن يعطيك شيئاً من روحه ووجدانه ، وصنف يقدم لك روحه ووجدانه طعاماً شهياً بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه . ومن الصنف الثاني شاعر الإنسانية الشاملة ، شاعر المحبة ، شاعر الحياة وكاتبها الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمه ! ..

فأنت تقرأ حين تقرأه فلسفة عميقة ومنطقاً سليماً وأدباً رائعاً دون أن تحس بارهاق في عقلك أو توتر في أعصابك ، فأنت معه في بستان حافل بكل ما يعجب ويطرب ويلذ ...

فبينما ترى الصنف الأول من الكتاب يمتح من معين غيره ترى الصنف الثاني يستقي ويسقي من نفسه وروحه ، ومن يستوحي نفسه يستوحي أرواح الناس جميعاً ؛ الأول يكتب في كل شيء

ولا يكتب فى شىء ؟ الأول بمائة والثانى صاحب رسالة ، الأول تقرأه مرة وقل أن تحس بحاجة للرجوع إليه ، والثانى لا تستغنى عنه لأنه منك وإليك ! ... الأول أنانى محدود الآفاق ، والثانى واسع شامل عميق كالحياة ، الأول يشبه البركة الراكدة ، والثانى يشبه الأوقيانوس !

فالأديب الذى لا يكفكف عبرة ، ولا يكشف غمة ، ولا يحل عقدة هو أديب حظه من البقاء قليل ونصيبه من الخلود هزيل ..

تدّر لى أن أنشأ نشأة ريفية صميمة ، فقد تفتحت عيناى على تلك الجبال التى تغزل بها سليمان فى نشيده الخالد : « شعرك كقطيع الماعز الرابض على جبال جلعاد » هذه الجبال جبال جلعاد أو جبال عجلون — كما تدعى اليوم — هى مجلى هواى ومرتع صباى ... كنت أفارقها — مرغماً — العام والعامين — طالباً أو مسترزقاً — وأعود إليها مستروحاً مستجما — لاغتسل من أدران المدنية واتطهر من أقذار الدنية ، ولقد كنت أشعر شعور الحاج أقبل على الأماكن المقدسة ، فمن مشاعر غريبة مبهمة وأحاسيس غامضة من الحنين والشوق والحب والشعر والدين ، إلى عواطف متضاربة من الفرح والحزن ، والعبوس والابتسام ...

كنت أقف إزاء هاتيك الجبال الأزلية ، التى شهدت فجر الخليقة وستشهد غروبها ، خاشعاً مبهوتاً ، وأهبط إلى تلك الأودية العميقة الرهيبة فأحس بحاجة ملحة إلى السجود والتعبد ، كما كنت أشعر بإشراق فى روحى وفرح وحشى فى قلبى لا يعرفه إلا ابن الطبيعة ، الذى ألف ولولة الرياح وهزيم الرعد وانفجار الصبح ولمع البروق ! ... ولطالما أحسستُ وأنا أسير بين تلك الجبال الحبيبة التى عرفت طفولتى وصباى وشهدت ملاعبى وهواى بالحاجة إلى نظم الشعر أو كتابة النثر فكانت تعجزنى الأداة وغلبة الإحساس الطاغى على التفكير والتركيز ، فتسيل عواطفى من عينى ، وتستحيل الفكرة فى رأسى إلى نوع من الشرود والذهول ، ولست أدرى أكانت دموعى دموع الفرح بعد طول الفراق ، أم دموع الأسى على هاتيك الأيام والليالى التى بدّدتها فذهبت إلى غير رجعة ؟ !

ظل ذلك شأنى إلى أن قرأت هذه الآيات من خطاب « نعيمه » إلى أبناء بلدته « بسكنتا » إثر عودته من أمريكا :

« يا أبناء بسكنتا يا لحى ويا دى ! منذ عشرين عاماً أدرت وجهى إلى البحّر وظهرى إلى صنين واليوم صنين أمامى والبحر ورائى . وأنا بين الاثنين كأنى فى عالم جديد وكأنى ولدت ولادة ثانية .

ما أنا بالنبى يضع العجائب ، غير أنى منذ عدت إليكم والعجائب تكتنفنى ، فكأننى فى عالم مسحور . أنظر إلى الجبال التى كنت أتسلقها فإذا بها تتسلقنى ! وإلى الأودية التى كنت أهبط إليها وإذا بها تهبط إلى أعماقى ! وإلى البساتين والكروم والحقول التى كنت أتمشى فيها وإذا بها تتمشى بين جنبات ضلوعى ، وكأن كل غرسة فيها غرست فى داخلى . وكأن كل يد تعمل فى تربتها تعمل فى تربة نفسى ! ...

أكاد لا ألمس حجراً إلا تفجرت منه سيول من الطهر والجمال ! أكاد لا أسمع زقزقة عصفور إلا سمعت فيها أجواقاً من الملائكة ترنم بصوت واحد « قدوس . قدوس . قدوس . ! » أكاد لا أرفع بصرى إلى نجم إلا تدلت منه سلالم سحرية . هى سلالم المحبة التى تربط كل مافى السماء بكل ما على الأرض ! ...

ومن ثم فكيفما انقلبت تجمهرت على ذكريات ما كان من حياتى قبل هجرتى . فهى تقب علىّ من جوانب الطرق ، وشقوق الصخور ، وخطرات النسيم ، وقطرات عيون بسكنتا الكثيرة »

فأى امتزاج فى الطبيعة هذا الامتزاج ؟ ! وأية صوفية ، وأية روحانية تطالعك من هذه الفقرات ؟ !

إن الشعور الطاغى الذى كان « سديماً » فى صدرى قد جعله نعيمه شموساً وأقماراً وأرضاً ، والأفكار المشوشة ، والحنين المبهم والشوق المحرق ، قد حوله نعيمه بمقدرته الفنية إلى أدب رفيع وفن رائع !

إن ما كنت أحس بالرغبة للتعبير عنه ولا أستطيع إليه سبيلا بغير الصمت والخشوع والدموع ، قد عبر عنه نعيمه بأسلوب الملهمين وأصحاب الرسالات الروحية الخالدين!

فالكاتب الذى ينطق بلسانك ويشرح ما يكنه جنانك هو أديب وأى أديب ! ...

والأديب الذى يجد الناس فى أدبه بلسماً لجراحهم ومتنفساً لخواطرهم ومعبراً عن أحاسيسهم ومشاعرهم هو أديب فيه نبوة وفى أدبه قدسية ! ...

مناور عويس

مدرس الأدب العربى بكلية ترا سانطة

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

– ٣ –

من كتاب هذا الكتاب الأستاذ كامل محمد عجلان، وأشهد أن لهذا الأستاذ قلماً، وأن له كتابة تنبىء عن مستقبل وتبشر بآمال، وأحسب أن مرد ذلك لا إلى أنه يتولى تدريس علوم البلاغة فى الأزهر، ولكن لأنه أديبٌ مطبوع له قلب وفيه خيال زادتهما الدراسة عمقاً وأصالة وصقلا، أنظر إلى قوله عن الربيع إنه «أنفاس الجنة وريش حمائمها، ونثار الملائك، وغراس القدرة، تطله العناية لتمسح بمراياه لغوب الحياة المكافحة، وهو خطوط رفعها الله معالم، وصوى تهتف بالقلوب وتنزع عنها لباس الجود فتسيل إيماناً بالجمال الذى يرقص الإنسان على هدهدات الظلال وميسات الغصون وتغاريد الطيور وخرير الماء.» هذا كلام له قيمة وله وزن عندما توزن الأقوال، وهذا كلام أديب أصيل فى الأدب يعرف كيف يطوع الألفاظ وكيف يصطفيها. وفى الكتاب أربع كلمات أخرى عن الربيع لأدباء آخرين لا توزن جميعها بهذه الكلمة إذا وضعت معها فى ميزان!

وانظر إليه وهو يخاطب القمر فيقول له «ما أنت يا قمر؟ أنت راعى الأحلام وسواق الأمانى تلقيها فى قلوب الحيارى وتشمشع بها عواطف العاشقين، وتداعبُ بها الساهدين فتكون برداً على أنفتهم الهواء، وسميراً إذا طال أمد الحبيب، وشدّت الأضالع بالأنفاس المبهورة والزفرات الأسيفة.

يا ابن السماء: إذا غابت عنا شموس الفتنة أرسلتك صفحة تنشر سحرهن وتفتن العابد وتسل عليه من سيوف الأحلام ما يبعث اليقظة الثائرة تهز القلب وتراود الواهى بين الحنايا فينقاد ويعود إلى محاريب الجمال وملاعب الصبوات». أين من هذا الكلام الجيل كلام صاحب له فى القمر أيضاً يقول فيه «..هات الناى فصلاتنا اليوم ألحان، وشرابنا رحيق من كوثر الإيمان طوبى للقمر إنه آية فى الفرقان، ويمين أقسم به الديان تسبح فى الأكوان، تنادى هيا أيها الإنسان، أعبد الله لا تكن قرين الشيطان، لحياة القلوب فى عبادة الرحمن.» هذا كلام مرصوص كالبنيان، ليس وراءه قلب ولا وجدان، ولكنه السجع الذى شغف به وعبده الكثير من أدباء هذا الزمان!!

والشعراء فى كتاب «أدب العروبة» هم الكثرة الغالبة فيه حتى كان يمكن أن يسمى هذا الكتاب «شعر العروبة» ووكيل الجماعة الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم له فى الكتاب سبع قصائد لكل مهرجان قصيدة! ولقد قرأتها جميعاً فى أناة ومهل، وقرأتها أكثر من مرة، وفتشت جاهداً على أجد فيها شعراً جيلا يستحق النشر والإعلان بله التنويه والإشادة فما وجدت والله من ذلك شيئاً! فشعره – ولا حياء فى الحق – ليس فيه سمة واحدة من سمات الشعر إلا أنه موزون مقفى! أستغفر الله فقد انحرف عن استقامة الوزن فى بعض شعره كقوله فى قصيدة الهجرة: –

هيا اترعى وامنحى الظمأى حلاوتها
هاتى لنا الدنيا ... هاتى لنا الدينا

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن، وكقوله فى قصيدة مهرجان الفيوم:

بشرا عبقريا بآى أغنى ... فأشيع النبوغ فى الأكوان!

فالشطر الأول غير مستقيم الوزن، وكقوله فى قصيدة مهرجان المنصورة:

الشعر جند لا سبيل لصده ... لا يخشى ناراً أو يخاف أسوداً

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن كذلك.

وشعر الأستاذ فوق بعده عن الرنين والإيقاع والموسيقى، وفوق أنه لا يعنى مطلقاً باختيار ألفاظه بل يسوقها سوقاً من أى واد يتفق له ساعة ينظمها فهو لا يحفل بالمعانى ولا يقف عندها ويتأنى لها حتى تخرج للناس شيئاً يمكن أن يقال عنه شعر، فهو يقول عن القمر مثلا إنه:

عطوف حدبه وسع البرايا ... ويشفى هديه الجفن القريحا!
ويسهر دائباً طول الليالى ... ويكبح سحره البحر الجموحا!

فهل يشفى القمر الجفن القريح؟ وهل يكبح القمر البحر الجموح؟ أم هو كلام موزون وكفى؟! ويقول عنه أيضاً إنه: –

صموت لا تزعزعه العوادى ... وكان بصمته معنى فصيحاً «كذا»
ويغضى عن عيوب الناس طرا ... ويفسح للمحاسن كى تفوحا

فما للصمت وللموادى ؟ أو ما للقمر وللموادى ؟ وما إغضاء القمر عن عيوب الناس طرآ ؟ هذا خلط من القول يجب أن يوارى.

ويقول فى مهرجان الهجرة عن صاحبها عليه السلام :

مواكب الخير فى دنيا وآخرة ... كانت لدعوته العليا ميادينا
حتام نشكو الضنا والسعد فى يدنا ... يكفى جميع الورى طرآ ويكفينا؟

فإن كلمة « السعد فى يدنا » هذه أقرب إلى كلام العامة من الناس ، وهل كانت مواكب الخير فى الدنيا والآخرة يوماً ميداناً لدعوة ؟

ويقول فى مهرجان الفيوم عن مصر :

قد بنينا الحياة علماً ومعنى ... لزكاة الأرواح والأبدان

إلى أن يقول عن مدينة الفيوم :

هاهنا السحر، هاهنا الشعر والآ ... داب والدين والمنى والأمانى !

فأى حشد من الكلام هذا ؟ وأى شعر فيه ؟

ويقول فى مهرجان « الفاروق » : —

بالعدل والخلق والإيمان منزله ... قد جاوز النجم والأقمار والشهبا « كذا »

قد كنت أعلم أن الشمس عالية ... مهما الخيال ارتقى للشمس ما اقتربا
جمعت كل معانى المجد قاطبة ... العدل والملك والأخلاق والحسبا

فهذا كلام عام لا سمة فيه ولا معنى له إلى أنه ركيك العبارة فاسد التركيب .

ويقول مخاطباً الناس منبهاً لهم إلى ارتياد الجمال :

تخذوا الجمال إلى الكمال وسيلة ... وتفيئوه بأقدس النظرات
ومذ اطمأنت للجمال نفوسكم ... ووصلتم الحسنات بالحسنات
ترثون كنز الأنبياء فضائلا ... وتبادلون الطهر خير صلات !

أنا أرجو القراء الكرام أن يدلونى على معانى هذه الأبيات ومدى ارتباط بعضها ببعض فقد عييت بفهمها وإدراك ما يقصد الشاعر إليه فيها . ولا أسرف أكثر من ذلك فى سوق النماذج من شعر الأستاذ فكل شعره من هذا الطراز هلهلة وتفككا واضطراباً ، وسيجد القارىء مصداق كلامى إن هو اعتمد على الله واحتسب عنده تعالى ساعة يقرأ فيها قصائد الأستاذ فى الكتاب !

ولست أحصى كذلك أخطاءه اللغوية والنحوية فيبدو لى أن الأستاذ لا يأبه كثيراً لذلك ويجد الأخطاء اللغوية والنحوية من الهنات الهينات التى لا يقام لها وزن كبير ! وهل يحفل بالأخطاء النحوية واللغوية من يقول مخاطباً القمر « وأرجع مجدنا الضخم الفسيحا » بهمزة القطع مع أنه قرأ قول الله تعالى « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » وقوله تعالى « قال رب ارجعون » بهمزة الوصل ؟ ثم هو يعكس الأمر حسب هواه أو حسب هوى الوزن الشعرى فيقول « هيا اترعى وامنحى الظمآن حلاوتها » بهمزة الوصل والصواب أن يقول « أترعى » بهمزة القطع فيرتكب السيئتين معاً ؟

وهل يمنى العناية الواجبة بلغته من يقول « لكنه وهب الحياة خلوداً » والله تعالى يقول « رب هب لى من لدنك ولياً » ويقول « ووهبنا له » أومن يقول مثل عبارته عن القمر « ولكن يضرب المثل النصوحا » أو عبارته عن القمر أيضاً إنه « يفتح للمحاسن كى تفوحا » ؟ أو يقول عنه أيضاً : —

ولو شاء لاستكان إلى قعود ... ولم يسمع لعاوية نبوحاً « كذا »

أنا أطلب إلى معالى الرئيس الشاعر الذواقة أن يوارى هذا الكلام ولا يأذن بنشره على الناس ، أو أن يلزم أصحابه التجويد والأناة والمهل إن كان بهم طاقة على ذلك وإلا فليس الشعر هزلا وليس الشعر كلاماً يلقى على الناس دون حساب ودون ضابط فيكون شعراً بإذن الله !

ولو شاء الأستاذ لرأى فى صديقنا الدكتور إبراهيم ناجى من أصالة الشاعرية وسمو الخيال وموسيقى اللفظ ما لو نهج فيه نهجه لكان مثله من الشعراء المجيدين ولكن الله يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور !

وللأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى فى الكتاب ثلاث قصائد فقط لا تعدل قصائد الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم السبع واحدة منها والدكتور ناجى شاعر بالفطرة وشاعر باللفظ وبالمعنى وبالخيال الفسيح البعيد ، وبالموسيقى التى تشيع فى جو قصائده . والقصائد الثلاث التى احتواها كتاب « أدب العروبة » لا تعبر عنه تمام التعبير ولا تدل عليه تمام الدلالة فأنا أعرف له الكثير من الشعر العذب الرصين السائغ السامى ولكننى لست إلا بصدد الكلام عن كتاب « أدب العروبة » فأنا أعرض نماذج من شعره فيه ليرى القارىء معى ما أرى من جمال الشعر وسمو الخيال ،

فهو يقول عن نفسه فى قصيدة «الربيع» : —

إنى فراش خميلة قد جنّ فى ... عرس الربيع الضاحك المختال
خلق الربيع له جناحىْ نشوة ... وسقاه كأسىْ فرحة وخيال
حسن وقفت على سناه مباليا ... وأنا الذى ما كنت قبل أبالى
غنيته حتى إذا حجب النوى ... أنواره وجبينه المتلالى
غنيته فى القلب محتفلاً به ... مترقباً عود الربيع التالى ...

ألا ترى أن ذلك شعر يوشك أن يكون غناء ؟ وأن له جرساً وموسيقى ورنينا ؟

ويقول فى قصيدة الفيوم هذه الأبيات البديعة حقاً يخاطب مصر : —

تالله لو فى الخلد كنت بموضع ... أو فى المجرة مصبحى ومهادى
لرنت لشطيك النواظر من علٍ ... وهفا إليك من الجنان فؤادى

إلى أن يقول : —

خير الوثائق ما كتبت سطوره ... بدم الضحايا المحض لا بمداد
تمليه إملاء القوى محطماً ... بيديك أنت مذلة الأصفاد !

ويقول فى مهرجان «الشرقية» من قصيدة عنوانها «المجد الحىّ» ما يأتى : —

أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً ... وأين بالله تيجان ودولات ؟
مروا ومصر على التاريخ باقية ... كصفحة حولها للنور هالات
يد تخط وأخرى غير وانية ... لها على الدهر توكيد وإثبات
هذا هو المنطق العالى وأعجبه ... محض من الزور وشته الضلالات
ومسرح فى الليالى لا جديد به ... لكن يماد عليه الذئب والشاة !

أو لرأى فى صديقنا الشاعر المرح الطروبُ الأستاذ محمد مصطفى حمام مثلا عاليا فى هذا اللون الطريف من الشعر فى عبارة رنانة أخاذة وموسيقى تأخذ بمجامع القلوب ، انظر إليه وهو يقول فى «فلسفة الربيع» هذا الكلام الجميل السهل : —

لى وللناس فى الربيع معانى ... ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر التصابى ... وشباب الأرواح والأبدان
وربيع «الجيوب» إحراز مال ... وامتلاء بالأصفر الرنان !
وربيع «الموظفين» علاوا ... ت ورزق يأتى بغير أوان !
وربيع الأديب لقيا عروس ... زفها الشعر من عذارى المعانى
كم لهذا الربيع فلسفة تحـ ... ـلو وكم للربيع من ألوان !

فهو يصدر فى شعره هذا عن طبيعته المرحة الطروب ، وهو الذى لا تفارق الابتسامة ثغره ، ولا النكتة حديثه ! وانظر إليه وهو يقول فى قصيدته «مناجاة القمر» هذا الشعر الجميل : —

يا بدر ... يا سلوة للقلب شافية ... إذا ألح عليه الهم والضجر
ويا رقيباً على العشاق مؤتمنا ... السر عندك مكنون ومدخر
ويا حسيباً جرت أسطار صفحته ... بالخير والشر مما قدم البشر
يامن تموت وتحيا ... ثم لا هرم ... يبدو عليك ولا ضعف ولا كبر
يا من تعيش بأعمار مجددة ... وكل يوم ترى الأعمار تختصر
ياقيصراً عرشه الدنيا وما وسعت ... وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة ... والشاعر الحق تسبى لبه الصور !
دعنى أسامرك فى جد وفى هذر ... ففى لياليك يحلو الجد والهذر
كم ليلة لحت فيها شاحباً أرقاً ... كأنما شفك التطويف والسهر
أو ضقت بالظلم يغشى الأرض قاطبة
أأنت مثلى طريد الظلم يا قمر ؟

وبعد : فإن كتاباً يضم بين دفتيه أمثال هذين الشاعرين يجوز أن يتخرص عليه المتخرصون ويأفك به الأفاكون، ويقولون طبعوه فى مطبعة حكومية ؟ ألا ليت المطابع الحكومية تخرج للناس — على نفقتها لا على نفقة المؤلفين — كل يوم كتاباً هكذا فذلك أجدى على الناس وعلى الدولة مما تخرج من إحصاءات وأرقام ومناشير لا غناء فيها ولا طائل وراءها ...

على متولى صلاح

٢ – من ذكرياتي في بلاد النوبة:

في البـــــاخرة!!

للأستاذ عبـــد الحفيظ أبو السعود

وتحدث بعض الناس عن عنيبة مادحاً ، فهذا تاجر — أخنى عليه الدهر ، فاضطر ليعمل ساعياً في بعض مصالح الحكومة — يحدثنا فوق ظهر الباخرة حديث الخبير العليم ، عن أحوال عنيبة وظروفها ، وما ينعم به موظف الحكومة ، والمدرس خاصة ، بشتى ضروب النعم ، ومختلف لذاذات الحياة . وأن عنيبة باريس بلاد النوبة عامة ! وأنها جنة الصعيد على الإطلاق ، جواً ، ومنظراً وبعداً عن الحشرات والأمراض ... !!

ووقع هـذا القول من نفوسنا موقعاً جميلا ، فماذا يبتغي الإنسان من دهره غير حياة هادئة وادعة ، يجد فيها لذاذة العيش ، وراحة البال ؟!

وهذا رجل آخر يذكر لنا وفرة الطيور ، وكثرة اللحوم ، ورخص الخضر ، وبعض أنواع الفاكهة ، وأنه على استعداد ليوفر لنا كل ما نحتاج إليـه ، ويورد لنا كل ما نريد ، دون أن نحرك ساكناً ، أو ننقل قدماً ، وأن الدجاجة الكبيرة التي تساوي في القاهرة ثلاثين قرشاً ، بثمانية قروش ، والزوج من الحمام بسبعة قروش ، والرطل من اللحم الضأن بسبعة قروش أيضاً ، وثمن أربع بيضات قرش واحد ! !

وكانت هذه الأثمان تسترعي انتباهنا ، وتستوجب دهشتنا ، وكان معنا في الباخرة مهندس ميكانيكي ، وقاض شرعي منقول هو الآخر إلى عنيبة ، فأخذ كل منا يعلق على هذا الكلام القريب من كل نفس في هـذه الأوقات ، وفي عينه فرحة ، وفي وجهه دلائل الدهش والاستغراب ! فكلنا ذاق مرارة الجشع . وقسوة الطمع ، وارتفاع الأثمان إلى أضعاف ما يجب أن تكون عليه ، ولا يزال علمنا بأثمان الحاجيات ، ليس ما تسعره الحكومة وتفرضه ، وإنما ما نشتري به بالفعل ، من أيدي التجار . الذين لا يخافون الله ، ولا يخشون عين الحكومة ، ولا سطوة القانون .! فتئنا نضرب مع أولئك الذين يدعون أنهم على علم ببواطن الأمور في عنيبة ، وكأنما فهموا منا هذا الإحساس ، فسمعنا ما جعل الشك يدب إلى نفوسنا في هذه الأحاديث ، وأن ما يقال ليس هو الحقيقة والواقع ، وإنما أراد هؤلاء الانتفاع منا فأعرضنا عنهم ، وبخاصة وأن واحداً من الزملاء كان ناقماً أشد النقمة على هذه الرحلة ، ويرى فيها شؤماً أي شؤم ، وعذاباً أليماً ، وانتقاماً ليس بعده انتقام ، وتوهيناً للقوة ، وتشتيتاً للشمل الجميع ... !

ولهذا كان يناهض كل مادح لعنيبة مناهضة قوية ، ويعارضه في شدة وقسوة ، فهو يريد أن يعيش في القاهرة بنصف مرتبه ! ولا يحب أن يأكل زوجاً من الحمام في عنيبة ، ويأكل في القاهرة أو في بلدته نصف حمامة فقط ! ولا يحب أن يأكل في عنيبة رطلا من اللحم ويأكل في القاهرة أو في أي بلدة أخرى ربع رطل فحسب ! ولا يريد أن يدخر في عنيبة ثلاثة أرباع راتبه الشهري ، ويحب أن ينفق كل مليم من دخله في القاهرة أو أي بلدة أخرى !!

وهكذا مضى يناقش ويناضل في قوة كل من يثني على هذه البلاد بقليل أو كثير ، وكأنما كل مادح في عنيبة هو الذي قضى عليه أن ينقل إليها ، ليلاقي فيها عناء الوحـدة القاتل ، ومرارة التعذيب الأليم ... !!

ولهذا فإن هذا الزميل ، كان يأنس بفريق آخر من الناس ، زمّ شفتيه عنـد ما علم أننا ذاهبون إلى عنيبة ، ونظر إلينا نظرة رثاء ، وإشفاق ، ورأى أننا مشردون منفيون لا محالة ، ولا بد أننا قمنا بحركة سياسية لم ترض القائمين بالأمر ، فحكموا علينا بذلك الحكم القاسي ، الذي لا مرد له ، وأننا سنلاقي هناك صحراء جرداء ولن ننعم فيها بشيء ، لأنه ليس فيها شيء ينعم به إنسان . سوى الجبال والرمال ، والعقارب ، و (الطربشة) وهي نوع من الثعابين يتحوى عند ما يشعر بإنسان قادم نحوه ، ثم يقفز إليه ، فإذا عضه ، فلا علاج أبداً غير قطع هـذا الجزء اللدوغ في الجسم ، وصب زيت مغلي على موضع الجزء المقطوع ؟!!.

استمعنا إلى هـذا ، فأدركتنا الرهبة ، وملأنا الخوف ، واقشعرت منا الأبدان ، واصطكت الأسنان ، وجحظت العيون ، ونظر بعضنا إلى بعض نظرات تنم عن الجزع والهلع ، واللوعة والاضطراب . وكدنا جميعاً نوافق الزميل الناقم ، وخيل إلينا أن خير طريق نفعله ، وأفضل حل نرتضيه لهـذا المأزق الذي نحن

فيه ، هو القناعة بوظيفتنا فى القاهرة ، ومركزنا الذى ارتضيناه ثلاثة أعوام ، وألفنا كل ما يحيط به من بيئة وأساتذة وتلاميذ ، وأنه لا داعى لهذه الترقية التى ستلق بنا فى أحضان العقارب الشائلة ، والثعابين الرقط ، وسط تلك الصحراء الجرداء ... علينا إذن أن نلوى وجوهنا ثانية نحو القاهرة ، ولتأخذ وزارة المعارف ممنا ما شاءت من الإجراءات ، وليفعل الله بعد ذلك ما يريد ... !!

ولكن صوت الواجب هز المشاعر ، ودوى فى الآذان ... الواجب الإنسانى ، وواجبنا كوطنيين مثقفين ، نعمل على رفعة الوطن ، عن طريق تنوير الأذهان ، وتثقيف العقول ، وغرس الفضائل ، ونشر المعارف بين مختلف الطبقات ، وليس بين الطلبة والتلاميذ فحسب ... هذا الواجب الذى أشربته قلوبنا ، وجرى فى أبداننا مجرى الدم فى العروق ... نحيا به ، ونعمل له جادين غير هازلين ، راضين غير كارهين ، مخلصين غير متوانين ولا متكاسلين ... هذا الواجب ارتفع صوته قوياً ، فبدد هذه الأوهام ، وجعل منا قوة دافعة ، وعزيمة وثابة ، فانصرفنا عن هذا الفريق المثبط للهمم ... حتى ذلك الزميل الثائر أفاق إلى نفسه واعتقد أن فى الأمر مغالاة ... !

يا لله ! كيف تضاربت أقوال الناس إلى هذا الحد عن بلاد يدعى كل منهم أنه رآها وخبر أحوالها ، وعاش فيها حقبة من الزمان ؟! فتى نرى بأعيننا خبر ما سمعنا لنحكم لها أو عليها ، فأنا بطبيعتى لا أثق كثيراً بما أسمع ، وخاصة وقد لدغت بضع مرات من هذا السبيل ، على أننى بحمد الله مؤمن كل الإيمان ، فأرجو ألا يتحقق فى قول الرسول الكريم : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ...

وخيل إلى أن الأمر كما يقول أخى جمال ؛ حينما علم بنقلى إلى عنيبة .

— إن كل ما تسمع من مدح وافر ، وثناء مستطاب ، على جميع بلاد الوجه القبلى ومديرية أسوان خاصة ، فهو من قبيل التعزية والتسلية . وتخفيف الألم ، والبلاء . كما يقول الناس للرجل المرزأ ، ما فى رزئه من فضل وخير ، وثواب وأجر ، لأنه لا يرى فى رزئه غير وجهه المظلم ... وهذا كله لن يغير من أثر الرزء شيئاً ، ما لم يكن هناك الاستعداد الكافى لتقبله والرضاء به ..!!

ودخلت إلى مقصورتى ، متزايل الأعضاء ، وقلت فى نفسى :

— صبراً يارب ، ففى سبيلك لا فى سبيل المال فحسب ، خرجنا إلى هذه البلاد النائية ، حقاً إننا خرجنا للمنصب والجاه ، والمال والثراء ، ولكن هذا كله سعى وراء الرزق والقوت يا مولاى ، وأنت سبحانك أدرى بخفايا النفوس ، ومكنونات الأفئدة ؛ وبواطن الأمور ، ولقد اقتضت إرادتك تفضلا منك ، أن تجزل الثواب والأجر لمن جاهد فى سبيل العيش والرزق والقوت ، فأجزل لنا من لدنك العطاء . إنك على كل شيء قدير .

ووقعت من نفسى هذه العبارات موقعاً جميلا ، فأحسست ببرد الراحة ، ولذة النعيم ، ومتعة الهدوء ، كأنما أزلت بهذا ما بينى وبين الله من جفاء ، سببه الاعتراض على مجارى القضاء ، وتصاريف الأقدار !!

ها هى ذى الساعة تعلن العاشرة مساء ، ولما تصل الباخرة إلى عنيبة .. إنها الآن فى طريقها إلى (إبريم) ، وربما تصل عنيبة فى منتصف الليل ، أو بعد ذلك بقليل ، فاللهم اكتب لنا السلامة والعافية ، والنجاة من هذه الأخطار ...

النيل جميل ، قد انبسطت صفحته فى رحابة رائعة ، ولقد يتسع أحياناً حتى لا نكاد نرى له شاطئاً ... وقد أخذت أنوار الباخرة تنتشر على صفحته الرجراجة ثوباً من النور يأخذ بمجامع القلوب ... والهواء عليل ، ينعش الأفئدة ، ويشرح الصدور ، على الرغم من أننا كنا فى السابع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٦ ، وقد تركنا القاهرة خلفنا يفتك بردها بالأبدان والجسوم ... والجبال مطبقة علينا أحياناً من الجانبين ، وفى أحضانها نخيل يغمره الماء إلى منتصفه أو يزيد ... ذلك النخيل الذى كان فى يوم من الأيام عماد ثروة طائلة ، وغنى لهذه الربوع والنجوع ولكن مياه الفيضان أضرت به ، فذوى منه الكثير ، وجف الكثير ، ولم يبق منه إلا القليل ، طغت عليه المياه ، فحرمته متعة الحياة !!

لا يزال ضجيج الباخرة ، وخرير المياه المنسابة من بين أجزائها الثلاثة ، يدفع عن عينى لذيذ النوم .

وأخيراً ها هى ذى عنيبة بمبانيها الفاخرة ... مبانيها الحكومية التى تضم عشرات الموظفين ، وها هى ذى الباخرة تقف فى المرفأ بعد الواحدة والنصف بقليل . أى بعد ست وثلاثين ساعة من حين قيامها من الشلال ...

عبد الحفيظ أبو السعود

من أناشيد الحرية والوحدة :

١ – نحن والانجليز

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

هـؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز
شعب وادى النيل من فجر الزمان مصر والسودان فيه توءمان
يشهد التاريخ أنّا أخوان ولدينا العزم فى كل مكان
لنريق الدماء فى سبيل الجلاء
ولملء الفضاء بدم الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز !

إن الاستقلال حق أبلج نفتديه بالحياة المهج
ولكم فى مصر ظل سمج فدعوها واخرجوا منها اخرجوا
قبل يوم النضال ليرى الاحتلال
فى قبور الوبال جثث الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز

قد سئمنا الغدر والمكر الوضيع يا ذئاباً لبست ثوب القطيع !
فنصرناها على « الليث الصريع » اذكرى للشرق حقاً لن يضيع
يا لئام الأنام يا عداة السلام
يا دعاة الخصام أيها الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز

يا خصوم الشرق والغرب معا يا عبيد المال أنى لمعا
يا سراباً كاذباً مهما ادعى ! ! يا سموماً وسموماً زعزعا
الجلاء الجلاء إن صوت الدماء
ناطق بالفداء يسحق الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز

٢ – وحدة وادى النيل

سحر الشرق صدى ألحانها ! وكوى الغرب لظى نيرانها
وحدة النيل تعالى صوتها كالجبال الشم فى رجحانها
وحد الله حماها مثلما وحد النيل ذرى شطآنها
مصر والسودان شعب واحد وبد لا شك فى سلطانها !
تقهر الجبار مهما غره قوة حمقاء فى عدوانها
ليس للسودان إلا مصره ولمصر الحق فى سودانها ! !
يا دعاة لانفصال جائر
كيف فصل العين عن إنسانها ؟
نحن من بيض وسمر كالظبا وجياد السبق فى ميدانها
جمعتنا روضة واحدة فاح طيب النصر من ريحانها
وحدتنا من قديم لغة كوضوح الشمس فى تبيانها
ولنا دين يؤاخى أمة بالهدى والطهر فى إيمانها
وصلات نشأ التاريخ فى ظلها ينهل من شريانها
استوى الغابر والحاضر والـ ـقابل المشهود من أعوانها
ولنا النيل حبانا جنة يغرق « التاميز » فى خلجانها !
ولنا الفاروق ، يعلو تاجه أمم العالم فى تيجانها
هو كالنسر جناحاه هما مصر والخفاق من سودانها
كيف لا نصرع أعداء الحمى
وسنجنى النصر من خذلانها ؟
ولنا القوة والحق معاً وأمانى مصر فى ريعانها
صوتها فى « مجلس الأمن » له قوة ترنو إلى أقرانها
وحدة تعبر لجاً حالكا سدد الله خطى ربانها ! !

أحمد أحمد العجمى

الأدب والفن في أسبوع

الأدب في الإذاعة :

نشرت مجلة الهلال مناقشة عنوانها «هل أدت محطة الإذاعة رسالتها ؟» دارت في ناديها بين « محمد توفيق دياب بك ومحمد فتحى بك والأستاذة مفيدة عبد الرحمن والدكتور نور الدين طراف » وقد بدأ فتحى بك الحديث بأن الإذاعة تؤدى غرضين، غرض التثقيف وغرض التسلية والترفيه عن المستمعين ، ثم اقتصر الحديث بعد هذا على الناحية الثقافية بمعناها الأعم الشامل للأدب والسياسة والصحة والنسائيات وغيرها . وأكتفى هنا بالكلام على الناحية الأدبية في هذه المناقشة ، فأورد أهم ما قيل فيها وأناقش ما يستدعى النقاش

قالت الأستاذة مفيدة : الواقع أننا لا نقدر مدى استماع الجمهور وفهمه لما يسمع، فليست إذاعة أقوال هؤلاء الأدباء معناها الثقافة » ثم قالت : « قد جرت عادة الله تعالى في بث الموعظة أن يسوقها في قالب قصصى محبب إلى نفوس العامة قبل الخاصة. والقرآن الكريم وما سبقه من الكتب المنزلة ملأى بأمثال ذلك، فقد ورد فيها من قصص المتقدمين ما فيه عبرة وعظة ، مع أن هذه الكتب لم تنزل لسرد القصص والحكايات بل نزلت لإرشاد الناس لما فيه خيرهم ونفعهم ، فحبذا لو اهتدى أدباؤنا الأفاضل بهدى القرآن في وضع الموعظة في مثل هذا القالب » ومما قاله توفيق دياب بك :«فأنا أخالف الأستاذة مفيدة نوعاً مافيما ذهبت إليه ، لأننى عرفت من تجاربى ومما سمعته من كثيرين من طبقات مختلفة كالمترددين على المقاهى والأندية العامة أن كثيراً من الجمهور ينتظرون أحاديث الأدباء ، وقد يملو المتحدث بلغته بحيث ترتفع عن مستوى عامة الجمهور ، ولكنهم يتابعون موضوعه ويفهمونه ، وذلك لكثرة سماعهم القرآن وخطب المساجد وكلام الفصحاء ، فارتفع مستوى فهم الجماهير حتى سبقت أفهامهم معرفتهم بالقراءة والكتابة ... »

وكان فتحى بك قد قال موضحاً مسألة نجاح الإذاعة في تحقيق الغرض الثقافي . « لا شك في أنها خدمت الثقافة خدمة كبيرة، ومثال ذلك أن كثيراً من الأدباء الكبار كطه حسين بك وتوفيق دياب بك والأستاذ العقاد وغيرهم كانوا معروفين في العالم العربى لدى طائفة خاصة من القراء . ولكن الإذاعة زادت أسماءهم لماناً وزادت الجمهور تعريفاً بهم ! » وهذا كلام يقف أمامه صف طويل من علامات التعجب والاستفهام ، فهل خدمة الإذاعة للثقافة هى التعريف بطه حسين والعقاد وتوفيق دياب ؟ وهل زادت التعريف بهم حقاً ! يا أخى ... قل غيرهم !

وقد رد توفيق دياب بك على ذلك بقوله : « هل أعتبر هذا الكلام مناً على الأدباء؟» وتساءل الدكتور طراف : «هل تذيع المحطة لهؤلاء الأدباء بقصد إشهارهم أو لأنهم أصلا مشهورون ..؟»

ومما قاله فتحى بك : « أنا أقصد الثقافة بمعناها الأعم ، ولكنى ضربت مثلا بالناحية الأدبية فقد أصبح الجمهور يتذوق كثيراً من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه »

فما هى ضروب الأدب التى أحدثتها محطة الإذاعة ولم تكن معروفة لدى الجمهور ؟ إن ما تذيعه من ألوان الأدب هو الأحاديث الأدبية القليلة، وبعض القصص القصيرة، وقراءة بعض الشعراء شيئاً من أشعارهم ، وقراءة بعض المذيعين فصولا من الكتب ، وإلقاؤهم بعض قصائد شوقى وحافظ في المناسبات ؛ فأى هذا لم يكن معروفاً في جوهره لدى الجمهور ؟ لقد كان يمكن أن تحدث الإذاعة ضرباً جديداً من الأدب لو أنها أذاعت تمثيليات قصيرة باللغة العربية بدل التمثيليات العامية التى تذيعها أو إلى جانبها ، فكانت تحدث في الأدب « فن التمثيلية الإذاعية » ولكنها تخلفت فسبقتها في هذا الفن بعض محطات البلاد العربية الأخرى التى لا تستطيع المحطة المصرية أن تقف إلى جانبها في الفاخرة بما قدمته للجمهور من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه

الأدب والمجتمع :

كثيراً ما أشعر بعد الكتابة في موضوع، أننى لم أوفه حقه وأنى قصرت في بيان أمر ، وأنه فاتنى أن أذكر شيئاً ،

من ذلك ما كتبته غير مرة للتنبيه على ضرورة اتجاه الأدب إلى المجتمع لتعرف أدوائه وتصوير أحواله ، وعلى ما ينبغى من تأثر

الأدباء والشعراء وانفعالهم وغضبهم على الأمور الواقعة والأحوال الراهنة ، وتعبيرهم عن ذلك كله بطرقهم الفنية .

خلت بعد ذلك كأن أصداء تقول لى : أتريد أن يكون الأدباء وعاظاً يجاهرون بالأمر والنهى ، ويسوقون النصائح المجردة والمواعظ السافرة ؟ أو تريد أن يتحول الأدباء جميعاً إلى باحثين اجتماعيين يدرسون الظواهر ويضعون النظريات ؟

كان ذلك قائماً بنفسى وأنا أقرأ فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » فصلا عنوانه « تجنيد الأدب فى ميدان الإصلاح » دعا كاتبه الأدباء إلى أن يتركوا الأبراج العاجية ويجندوا أنفسهم فى الحرب الاجتماعية المعلنة على الفقر والمرض والجهل ، وبين كيف يعمل الأديب فى هذا الميدان بأنه « لا يكشف النقاب عن مهمته وغرضه ، ولا يجهر بنصح أو إرشاد ، ولكنه بأسلوبه الفنى يعرض عليك من صور الحياة وحقائق المجتمع وحالات الناس مما تتأثر به نفسك فى غير تصريح أو مجاهرة ، فإذا أنت منفعل بما صوره لك وعرضه عليك ، وإذا أنت قد أسلمت عنانك لهذه الصور الفنية وأوليتها عواطفك من حب أو كره ، ومن رضا أو اشمئزاز » قرأت هذا فوجدته مطابقاً لما أريد من بيان . ويقول كاتب المقال بعد ذلك : « وربما قيل إن الحرية والانطلاق روح الأدب ، فليس لنا أن نقسر الأديب على شىء بعينه ولا أن نوجهه إلى ميدان خاص ، وإلا خرجت آثاره الفنية ضرباً من التكلف والتعمل لا قيمة له ونحن لا نريد أن نكره الأدباء على الانقياد لخدمة مبدأ من المبادىء خدمة متكلفة ليست منبعثة من صميم النفوس والوجدانات وإنما ندعو الأدباء إلى أن يوجهوا أنظارهم وجهة المجتمع المصرى وأن يتدبروا أحواله الاجتماعية ويفكروا فيها ويشغلوا أنفسهم بها ، فإن فعلوا ذلك فإنهم لا محالة يتأثرون ومن ثم يواتيهم الوحى الفنى عن تأثر وانفعال ، فتخرج آثارهم الفنية الاجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير »

على أنى أسمع أصداء أخرى تشير إلى مسألة ثار فيها الجدل واعتركت حولها الأقلام ، وهى : هل الأدب للأدب أو الأدب للحياة ! وأضع بإزاء ذلك ما أراه من أن الأدب المحلق فوق الحياة إنما هو كمال فكرى ، أما مطلب الحياة من الأدب فهو من الضرورات . ولا شك أننا الآن — من حيث الجهاد الخارجى والإصلاح الداخلى — أحوج إلى أن يكون أدبنا لحياتنا أكثر ما يكون ، وله أن يقضى بعض الوقت فيما يطيب له من ذرى الفن ومواطن الفكر .

السجل الثقافى :

ورد إلىّ الكتاب الآتى من الأستاذ محمد سعيد العريان مدير إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، وفيه البيان الكافى لما توقفنا عنده من أمر السجل الثقافى فى العدد الماضى :

عزيزى الأستاذ العباس

قرأت ما كتبته من قريب فى الرسالة تنويهاً بالسجل الثقافى الذى اعتزمت وزارة المعارف أن تصدره فى كل عام لتسجل به مظاهر النشاط الثقافى فى مصر ؛ فشكرت لك هذا .

ثم قرأت ما اقتبست لقرائك من رسالة للأديب « البسام » يعترض فيها على هذا السجل من ناحيتين :

الأولى : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى خارج جدران المدارس على حين كان الواجب أن يشمل هذا السجل كل مظاهر النشاط فى المدرسة وخارج المدرسة .

الثانية : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى فى مصر دون غيرها من البلاد العربية التى تجمعها وحدة الثقافة منذ مئات السنين .

وقد عقبتَ يا صديقى بما عقبتَ على رسالة الأديب «البسام» وأحسبك قد وافقته على اعتراضه من ناحيتيه ، ولكنك تركت « لأهل الاختصاص فى الوزارة أن يجيبوا بما عندهم » .

وأرى من حق — أو من حقك وحق القراء علىّ — أن أردّ اعتراض الأستاذ البسام واعتراضك ؛ فنحن لم نقصد قط حين أخذنا الأهبة لإصدار السجل الثقافى أن نحصره فى هذا الحيز المحدود ، ولم يخف علينا قط ما يجمع بين البلاد العربية من وحدة الثقافة التى تأبى القيود والحدود ولا تعترف بهذه الفواصل الصناعية التى تجعل البلاد العربية المتحدة بلاداً ذات أسماء وعناوين — لم نقصد إلى شىء من هذا ، ولم يخف علينا شىء من هذه الحقيقة ، وقد قصدنا أن يكون السجل الثقافى الذى يصدر عن وزارة المعارف فى مصر صورة صادقة التعبير عن كل مظاهر النشاط الثقافى فى تلك الوحدة الثقافية التى تسميها البلاد العربية .

أما إغفال تسجيل النشاط الثقافى فى نطاق المدارس فلأن

ثمة هيئة أخرى فى وزارة المعارف تقوم عليه وتعنى به وتمد المدة له ؛ فليس من حسن التدبير أن يتكرر العمل ، ولذلك تركنا للقائمين على شئون « تقويم التعليم » أن يمضوا فيا هم بسبيله لنفرغ نحن للجانب الآخر من جوانب النشاط الثقافى .

وأما أن يشمل السجل كل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد العربية جميعاً فهدف نقصد إليه وغاية نتنورها على بعد ، ولكنا لا نريد أن نبدأ العمل قبل أن تتجمع لنا أسبابه ؛ ومن أجل ذلك قصرنا برنامجنا — الآن — على تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى مصر حتى تتهيأ لنا الأسباب الكفيلة بتمام العمل على الوجه الذى يتمناه كل مثقف من أبناء العربية فى أى بلادها .

فهذا ما أردت أن يعرفه قراء الرسالة عن هذا الأمر ، ولعل فيه بلاغاً ، وإنى لأشكر لك ولصديقك ما أتحتما لى من فرصة لبعض الحديث عن هذا العمل الذى آمل أن يبلغ مبلغه من النفع العام إن شاء الله .

كبار الكتاب والسينما :

تضمنت الكلمة التى كتبتها فى عدد مضى من الرسالة بعنوان (السينما بمناسبة «المنتقم») بيان عيوب فى بناء قصة السينما المصرية كخلوها من الفكرة وقصورها فى تصور النواحى المختلفة لحياتنا . ويظهر من هذه العيوب أنها ترجع إلى ضعف التأليف أو قل عدم التأليف لأن أكثر الروايات تحور عن أصول غربية ، يفقدها «التصرف» قيمتها الأصلية ، فتجىء لا شرقية ولا غربية

وعندى أن الذين يستطيعون أن يجبروا هذا النقص هم الأدباء الذين يلتفتون إلى هذه الناحية ويدرسون دقائق التأليف للسينما ، بمعاونة مخرجين لهم ذوق أدبى ومشاركة فى الأدب إلى جانب حذقهم فى الإخراج

وقد أثارت هذا الموضوع مجلة « الاستديو » فكتبت بعنوان « أعلام الكتاب فى مصر : لماذا لا يكتبون للسينما ؟ » قالت : « تحمل القصة السينمائية فى مصر طابع الضعف فى التأليف والتفاهة فى الفكرة والعجز فى إحكام العقدة الروائية ووسائل حلها . ولما كان كبار الكتاب والأدباء هم عماد القصة فى كل عصر وجيل فما يثير الدهشة حقاً أن أعلام الكتاب فى مصر قد أعرضوا إعراضاً ظاهراً عن إمداد السينما بوحى أقلامهم » ثم ذكرت المجلة بعد ذلك أنها استطلعت آراء بعض الكتاب والمخرجين فى أسباب ذلك الإحجام ، ونشرت هذه الآراء .

يرى الأستاذ محمود تيمور بك أن رجل الشارع الذى أوتى حظاً محدوداً من الثقافة لا يستسيغ ولا يقبل على ما يكتبه أعيان الكتاب له ، ولكنه يقبل على روايات الكتاب العاديين المؤلفة أو المترجمة لأنه يجد فيها متعته الحلوة وغذاءه المستساغ

وقال الأستاذ المازنى « إن السينما المصرية تعتمد على عنف الحوادث وعلى المواعظ والخطب المنبرية وعلى الغناء والموسيقى إلى آخر هذا . وهذا كله لا يتفق مع فن القصة ، وما دام رجال السينما يطلبون هذا فمن البعيد جداً أن يجدوا فى كاتب يحترم فنه استعداداً لوضع قصة لهم على هذه القواعد »

وقال الأستاذ زكى طليمات : « سيعمل كبار الكتاب للسينما يوم يصبح المنتجون والمخرجون فى عقلية تماثل عقلية كبار الكتاب »

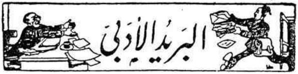
ويستبين من هذه الأقوال أن المنتجين والمخرجين يرون أن الجمهور إنما يقبل على الأفلام المنيفة الحوادث المفعمة بالمواعظ والخطب المنبرية والأغانى ، والتى تعتمد مع ذلك على إثارة الغرائز ، والكتاب يترفعون عن هذه الصغائر

ولاشك أن إقبال الجمهور هو أهم شىء فى هذا الموضوع ، ولكن هل الجمهور لا يريد حقاً إلا هذا الذى يقدمونه له ؟ وهل يعرض حتماً عن إنتاج فنى نظيف يحمل إلى عقله ووجدانه غذاء خفيفاً إلى جانب المتعة التى ينالها من أسباب الدعة والتسلية والطرب والتفكهة ؟ وهل قدم له شىء من هذا فأعرض عنه ؟

إن الإنسان ، كما قلت فى مناسبة سالفة ، فنان بالفطرة ، فهو إن لم تتح له وسائل الإنتاج فى الفنون وأدواته ، فنان « مستهلك » . فمجاراة الجمهور فى ميله إلى هذا الهرج إما أن تكون — مع حسن الظن — غفلة عن استغلال ميله الفطرى إلى جمال الفن أو عجز عن تهيئته له ، وهى — مع سوء الظن — تجارة من أرذل التجارات ...

جربوا أيها المنتجون ... وإذا أردتم ألا تغامروا قبل أن تستوثقوا، فقدموا للطفل الذى اعتاد أن يفرح بـ «عرائس المولد» لعبة من اللعب ذات الفكرة ، وانظروا هل يعرض عنها ...

« العباسي »



١ — الى الأستاذ يوسف أسعد داغر :

إذا كنت قد تأخرت فى الكتابة عن كتابك الذى أهديته إلىّ (فهارس المكتبة العربية فى الخافقين) فما تأخرت إهمالا ، ولكنى أردت أن أكتب عنه كتابة علمية تليق بهذا السفر القيم الذى أقرر جازماً أنها لم تصدر المطابع العربية فى هذه السنة كتاباً علمياً خيراً منه ، وأنا حين أنشر هذا الاعتذار ، أنشر معه إكبارى لهذا الجهد (الهائل) الذى بذلته فى تأليفه ، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب فى مكتبة كل عالم وكل أديب .

٢ — سبق قلم :

جاء فى الخبر الأول من أخبار بريد « الرسالة » ٧٣٨ كلمة :

« الحسن البصرى الذى أخذ عن مالك بن أنس »

وذلك سبق قلم ، لأن الحسن إنما أخذ عن أنس بن مالك الصحابى لا عن مالك بن أنس الإمام الذى جاء بعده بأزمان .

٣ — جد أم هزل ؟

أما (سؤال) الأستاذ الجاحظ ، فى العدد الماضى ، فما أخذته إلا على أنه هزل ، وما أعتقد أن المراد من جملتى يخفى على عامة القراء ، فضلا عن مثل الجاحظ ، أولم يسمع الجاحظ رجلا يقول : « إنى لأرى كل جميل ، وآكل كل طيب ، ولكنى لا أشعر بمسرّة » ؟ إن لم يكن قد وجد رجلا هذا حاله ، فليعلم أنى ذلك الرجل .

على الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

اليوم (٢٥ أغسطس) وأنا فى أقصى الشمال من لبنان ، فى بلدة الأرز « بشرّى » ، مثوى العبقرى الملهم (جبران) — وصل إلىّ (السمير الحبيب) مجلة « الرسالة » الزاهرة (عدد ٧٣٧) متأخرة عن ميقاتها ، فطالعنى بين طياتها ما كتبه إمام العربية الأكبر ، أستاذنا الجليل « السهمى » — ومنذا الذى يجهل « السهم » صنو « النشاب » ؟! — معلقاً به على ما نبهت إليه فى بريد (الرسالة) الأدبى ، مخطّئاً قول كاتبة فاضلة : « مد الليل أروقته السوداء ... » وقد حملنى على أن أبتغيها : « أروقته السود ... » (حِوَلا عن « السوداء ») ما أجده فى كتاب الله إذ يصف ما هو من مثل ذلك على نحوٍ منه فيقول : (جدد بيض ...) ويقول : (غرابيب سود ...)

وما أجده كثيراً فى شعر الجاهليين والمخضرمين ، مما لا سبيل إلى الوصول إليه ، وأنا (فى هذا المنزل) بعيد عن كتبى ... على أنى استظهر من ذلك أمثلة تتقدم فيها (الصفة) أو يستعاض بها عن الموصوف . ومنها قول الطرماح :

وتجرّد الأسروع واطّرد السُّفا ... وجرت بجاليْها الحداب القَردَد

وانساب حيّات الكثيب وأقبلت ... وُرق الفراش لما يشبّ الموقد

* * *

وكنت أصادف كثيراً ، من مثل ما أشار إليه أستاذنا الجليل — وهو أن تجىء « فعلاء » المفردة وصفاً للجمع فأخاله انحرافاً عن الجادة ، ومسايرة للعامية ! ولكننى — وقد سمعت ما أورد — أشكر له حسن توجيهه ، وكريم تعهده ، وسهره على سلامة هذا اللسان الخالد . ليبقى مبرءاً من كل شائبة ، منزهاً عن كل خطل ...

وله منى تحيات أرق من نسائم (صنين) مفعمة بأريج الصنوبر والأرز ...

(بشرى — لبنان الشمالى) **محمد سليم الرشدان**

الى الأستاذ « الجاحظ » :

فى « تعقيبات » الرسالة الغراء عدد ٧٣٩ نسب الأستاذ « الجاحظ » إلى الأستاذ العقاد أنه قال له فى صدد الكلام على أدب الشيوخ وأدب الشبان « لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من

أخذ بأيدينا ، أو (أفسح) لنا الطريق ... »

وأنا قد لا أخطىء الصواب إذا قلت إن نسبة هذا القول إنما كانت فى المعنى المفهوم وليست فى اللفظ المرقوم ... إذ لا يخفى على الأستاذ العقاد خطأ استعمال (أفسح) من الفعل الرباعى دون الثلاثى وهو الأصل ؛ فإنه يقال (فسح له فى المجلس ...) ولا يقال أفسح له فيه ...

عدنان

حول الزرنانة وأسمائها :

فى جزء الرسالة الـ ٧٢٨ البارز نهار الاثنين ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ سنتها الخامسة عشرة كلمة للاستاذ حسنى كنعان بخصوص الزرنانة وما أراد لها الأدباء من الأسماء ، وقد خاف الأستاذ الجليل أن يصل بها المطاف إلى ما وصلت إليه كلمة « السندوتش » فى المجمع العلمى . وعلى كل ما تحمل كلمة الأستاذ فى طياتها من التهكم فإنها تدل على إهمال الأدباء لمقررات المجمع الملكى . والذى أراه أن تبقى الكلمة بلفظها أو يستبدل بها (سجن عارم) .

فقد جاء فى القسم الثانى من كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى ما حرفه :

قال أبو الحسن المدائنى : « أسر (زيد عارم) غلام مصعب ابن (عبد الرحمن) بن (عوف) وبنى له بناء ذراعين فى ذراعين وأقيم فيه ، وكان ذلك البناء فى السجن ، فقيل : «سجن عارم» .

فمن هنا نرى أن الكلمة عرفت من صدر الإسلام وأنها تؤدى المعنى كاملا . فأما أن نصير إليها ، وأما أن نبقى على الزرنانة إذ لا خوف منها على اللغة إن شاء الله .

روكس بن زائد العزيزى

معلم العربية وآدابها فى كلية تراسانة فى القدس

١ — استدراك :

جاء فى كلمة « نعم الضمير مطمئن » بعدد الرسالة ٧٣٧ البيت الآتى :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون أيامه وهو مجدب

ولما كان الشطر الثانى خطأ أشارت الرسالة إليه بكلمة « كذا » والصواب :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون على أيامه وهو مجدب

فلزم التنويه . وللرسالة مزيد الشكر ووافر التحية .

٢ — « بله لا بلهاء » :

كتب الأستاذ الجاحظ فى تعقيبه « يا قوم حسبكم » بعدد الرسالة (٨٣٨) : « والمعنى المقصود فى هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء » والصواب بله بزنة (فُعْل) وهو جمع مطرد فى كل وصف يكون المذكر منه على أفعل . والمؤنث منه على فعلاء فيقال : رجل أبله . وامرأة بلهاء . وفى الجمع بُلْه وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البله » .

كمال الحولى



قبـــلة الملكـة

للقصصى الفرنسى ج هـ روسنى

بقلم الأديب كمال الحريرى

هذه هى عشر سنوات ، وانا راسخ الجذر فى هذا المكان البائس « ل » مقيم فى هذا المنفى لا أريمه .

ومع ذلك ، فكل الناس كانوا يحسبون حساباً لمواهبى وخصالى ، وكلهم كان يقدر أنى سأبلغ أرق المناصب ، وأنال أرفع الوظائف التى لا تطاولها إلا رتبة الملك حتى أشد أعدائى ، وشر خصومى كانوا لا يغمطون مؤهلاتى . ولكن هذا كله وا لهفتاه ، لم ينجنى من الحكم على بالتعفن فى هذا الجحر الضيق الذى يسمونه « ل » ولذلك قصة عجيبة عالية ، تتلخص فى أن امرأة كانت سبب نكبتى ، وهذه المرأة هى الملكة

لقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى ، فى فتوة ساخرة . وكان من عادتى ، أن أغازل عرائس أحلامى ، ما بعد الظهر من كل يوم ، فى حديقة الملك الوسيعة الملتفة الأدغال ، تحت الجبال الشامخة . مشيت فى ذلك اليوم طويلا ، تحت ظلال الزيزفون التى كانت تنمو فى أرض تغذيها ســـواق عذبة صافية ، ويحوطها مروج من الأعشاب السندسية الخضلة الندية ، تعزلها عن أشجار الغابة وأدواحها . وانتهى بى السير ، إلى بساط من الأرض مفروش بأشجار من الحور ، كانت ذوائبها تتراقص وتنثنى الواحدة نحو الأخرى . وهناك بين تلك النهيرات ، كان نهير ، يفترش ماؤه فيتحرك إلى بحيرة صغيرة ، تحفها شجيرات من قصب الخيزران المزهرة .

كانت أشباح الغموض والسكون ، تخيم على تلك البقعة الموحشة ، إلا ما كان من خرير ماء النهر وهو يجرى فى الأعماق ، أو التماع قصور من غيوم السماء كانت ترتسم على مخرفة من أشجار الأرز .

وفى هذا المكان جلست غارقاً فى لجة من الأحلام والأخيلة بدأت مشاعرى تطغى علىّ وتنتشر فى ذهنى ، فرحت أمتع النفس والحواس ، بصفاء هـذه النزهة . وأنا متخل بروعة الأصيل ، غارق فى سحره الجميل . ولكن قلقاً مباغتاً ، انبثق فى نفسى فجأة . سمت على أثره لصدرى خفقاناً طغى على هدير النهر خفقة مجذاف كأنها تبرر لى هذا الاضطراب والارتعاد فلم ألبث أن تواريت فزعاً مضطرباً خلال دغلة من الدغلات . وانقطعت خفقة المجذاف على الماء . فعاد السكون والغموض ، يجثمان على المكان وروعة أشعة الأصيل ، تسترسل من خلل الغصون فتلمحت على ضوء شعاع متسلسل بين فجوات الأوراق ، بطة لماعة تمخر الماء ثم تلتها أخرى ذات طوق نحاسى وتغريد حلو . ثم أخذت تتعالى مجدداً ، خفقات المجذاف وبعدها ارتسم أمامى على عطفة الشاطىء مقدم زورق للصيد ، نهضت فوقه ، فتاة رائعة الجمال ، تتوهج على يديها أشعة من دماء صيدها للطيور . كان فى عينيها نفاذ وحدة وعلى فمها فتنة سماوية وكانت يداها البضتان ، تحركان المجاذيف فى مشقة وإعياء بينما رغاء الزبد يتفجر كقطع الثلج أو نثار اللؤلؤ خلف الزورق السحرى . أما أنا فقد اهتز كيانى من الحنان والأسف ، وانثالت على اسانى الدعوات .

وبالغت فى التستر والتوارى . وقد كتمت أنفاسى وكاد الاضطراب يبلغ بى درجة الإغماء . ذلك أنها إنما كانت هى .. هى الملكة التى كنت أهيم بها فى الخفاء ، والتى ما زلت منذ بعد هذه الظهيرة أحلم بها الأحلام السعيدة البهيجة أثناء نزهتى .

وكان فى نهاية الزورق ، صبى صغير منتصب ، هو الأمير الجميل د هـ ت ابن أخت الملكة .

كان ممسكا بسكان الزورق ، بينما خالته الملكة سابحة فى أجواء أحلامها وقد مال عنقها الذى يشبه عنق الإوزة إلى الجانب ، وامتدت ذراعاها الناعمتان الحريريتان إلى الأمام . كانت تجذف على ضوء الأصيل الأصفر إيه يا إلهة الملاحة ، يالك من حلم عجيب وسمعت فجأة صرخة داوية ، ثم أبصرت بالزورق يتقلب على الماء والأمير الصغير يسقط فى النهر فى حين تعلقت فيه الملكة الملتاعة

الجزعة ، بغصن غليظ من أغصان الحور .

ووثبت إلى الماء بقفزة ، وقبضت على الغلام الذى كاد ينجرف مع التيار ، فوضعته على الشاطىء الأمين ، ثم جدفت بالزورق نحو الملكة . لقد لمست ذراعاى جسمها الذى خلق فقط لكى يضمه أبناء الملوك . أما هى فقد كانت شاحبة الوجه مرتجفة الأوصال . لم تنطق أولا بحرف ، وإنما لبثت ترمقنى بعينيها الساحرتين الفزعتين غير أنها حين أحست بنفسها منتصبة على قدميها فوق الشاطىء ، قذفت بنفسها هلعة فزعة على الأمير الصغير المسكين ، الذى كاد يغمى عليه من روعة الحادث . ثم عانقته بحنان حافل فزع ، وقالت لى : إنه مدين لك بحياته فاطلب منى ما شئت تلقى أول الملبيات . فصحت : أتعطينى كل شىء ؟ ثم عرانى اضطراب وحشى ثائر ، وماد بأعطافى جنون مضطرم جياش . أما هى فقد شدهت لصرختى وجعلت لحاظها تتلاقى مع لحاظى . ثم أسبلت أجفانها حياء وتضرج وجهها بحمرة الخجل

لقد كنت كما أسلفت ، فى ريعان الصبى ، ولى محيا فتان اللامح ، وكانت الملكة تعرفنى جيداً ، لأنها طالما أبصرت نظراتى تتعلق بمفاتنها . وعلى هذا فقد فهمتنى . ولحظت أنا فى نظراتها الثابتة فىّ ، شيئاً من ارتجاف جعلنى أكثر جنوناً بها ، وأشد نشوة وتلذذاً بفتنتها النبيلة ودمها الملوكى . ثم أخذنى ميل لذيذ مشتعل لانتهاك حرمة هذا الجمال الملوكى ، فظللت مرتجفاً هلوعاً.

ثم استأنفت قولى : أتقولين إنك تمنحينى كل شىء ، دون أن ترجعى عن كلمتك ؟ ... فأشارت برأسها بالإيجاب ثم اصطبغ محياها بدم الخفر . واستقلتها حمياً من النشوة . وقلت لها ، أرغب منك قبلة . فأجابتنى بلهجة العاتب . أى جنون هذا ؟ . لعمرى أن صغر سنك وحده . هو الذى يبرر هذه الإباحة الفاجرة . ولكنها فى الحق ، كانت تشاطرنى اضطرابى وتقاسمنى شعورى:

إذ راحت تتمعن فى جسمى الذى التصقت عليه ملابسى المبللة ، وتنظر إلى نظرات مبهمة غريبة . وعندئذ ، بلغت بى الجرأة حداً كنت بعده موطناً العزم على عدم النكوص ولو أمام خشبة المشنقة .. وهتفت بها مجدداً : اذكرى أنك قطعت على نفسك عهداً .. وقبل أن تتمكن من الدفاع عن نفسها ، تقدمت إليها فى جرأة ، وأمسكت برأسها الملائكى بين كفى ثم أهويت بفمى الحران اللهفان إلى فمها. وحينئذ.. وبعد قبلتى المديدة العميقة شعرت بشفتيها الشهيتين الحلوتين ، تجيبان قبلتى بقبلة ، وتمنحيان على شفتى بلثمات عنيفة حارة ضاغطة . لم يدم ذلك إلا كلمحة البرق ، ولكن هذه اللحظة على قصرها ، كانت من النفاذ والتأثير فى مشاعرى وحواسى ، بحيث أن فمى لن ينسى أبداً لذاذة هذه القبلة . وحين دفعتنى الملكة أخيراً عن نفسها ، كان أحد نبلاء الحاشية يتقدم نحونا تحت ظلال الحور ..

نمى الخبر إلى الملك ، فعرف كل شىء ، وتحتم على الملكة أن تفسر له جلية الخبر . ومع أنها على التحقيق ، قد أسقطت من فضيحتها (اشتراكها الآثم لحظة فى مبادلتى القبلة) إلا أن ذلك ، لم يقلل من عزم الملك على نفيى وتشريدى .

لم أكن أملك ثروة ، وكانت وسائل مرتزقى متعلقة كلها بأسباب الملك ، الذى قضى بنفيى ، فأبحر بى إلى هذا المكان «ل» الذى شغلت فيه أولا وظيفة « سكرتير » ثم وظيفة قنصل .

إن الملك رجل حقود ، لا يعفو عن زلة فلست آمل أن يغفر لى جريمتى مطلقاً . وعلى هذا ، فقد قضى علىّ أن أدفن فى هذا المكان إن لم ينقذنى موت حاكمى وسيدى الملك

إنه ليعرونى الندم فى بعض الأحيان ، فآخذ نفسى باللوم الشديد على ما ورطنى فيه جنونى . ولكن تأتينى هنيهات ، أشعر فيها بشفتى الملكة كأنها حاضرة تنطبع على فمى وحينئذ لا آسف على شىء فى الوجود

لقد حدث لى ما يلى خاصة فى أمسية عيد الصعود وذلك إنى فى ذاك اليوم ، تلقيت من العاصمة التى فيها الملكة ، هدية غصناً رطباً مزهراً من أغصان الخزران (ذلك النبات الذى كان يحف بالبحيرة التى أنقذت من مائها الملكة) فعرفت أن هناك شخصاً حبيباً لم ينسنى بعد ... واختلجت لهذه الذكرى شفتاى اختلاجة الوله والمرارة ...

(حلب) كمال الحريرى